مجلة شهرية

Issue No: 154 عدد:

June 2020 شهر حزيران

نـــــور المسيـــــح

ΦΩΣ XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

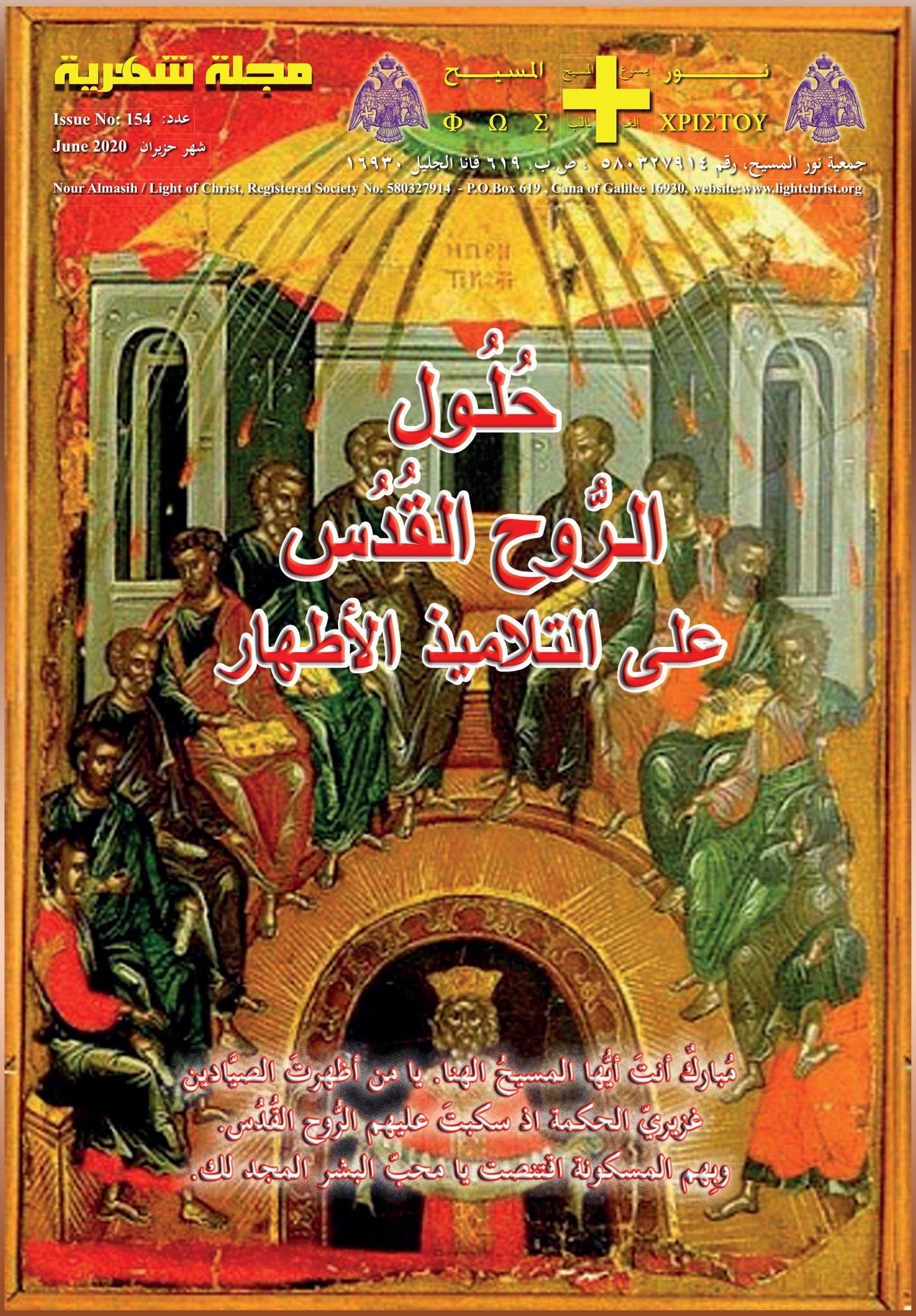

حُلُول الرُّوح القُدُس على التلاميذ الأطهار

مُباركٌ أنتَ أيُّها المسيحُ الهنا. يا من أظهرتَ الصيَّادين
غزيريّ الحكمة اذ سكبتَ عليهم الرُّوح القُدُس.
وبِهم المسكونة اقتنصت يا محبّ البشر المجد لك.

محتويات العدد

2	شمس الرُّوح القُدُس
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	كلمة ثانية لغبطة البطريرك
5	———
6	نار الرُّوح القُدُس
7	———
8	القديس ديونيسيوس
9	السُّبل الخمسة
10	برج بابل اليوم
11	———
12	نحنُ في المسيح
13	———
15	———
16	———
17	خدمة المرضى والفقراء
18	———
19	———
20	———
22	شذرات آبائية
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

شمس الرُّوح القُدُس

للقديس
باسيليوس الكبير

«عند سماع ألقاب الرُّوح من لا يَسْمُو روحيًا ومن لا يرتقي إيمانه إلى الطبيعة الإلهية؟

فالرُّوح يدعى «روح الله» وروح الحقّ الذي من عند الآب ينبثق، والروح المستقيم، وروح رئاسة. أما اسمه الخاص ولقبه المعروف فهو الرُّوح القُدُس، وهو اسم لا يدل بالمرّة على أنه محسوس بل **روح محض بسيط**.

وعندما أراد الرَّب أن يعلم المرأة التي اعتقدت بأن الله محصور في مكان ينبغي عبادته فيه، قال أن الله منزه عن الجسد ولا يمكن حصره في مكان، قائلًا: «الله روح».

وذلك إذا سمعنا كلمة الرُّوح، **فمن الخطأ أن نُكَوِّن صورة عن طبيعة محدودة، خاضعة للتغيير والظروف أو تشبه المخلوق**، بل نُحَتِّم علينا كلمة روح أن نَسْمُو إلى ما هو أعلى، إلى طبيعة عاقلة وغير محدودة القوّة والعَظَمَة، لا تُقاس بالزمان أو العصور، بل مُحسن يعطي من خيراته، وكل الذين يحتاجون إلى التقديس يلتفتون إليه، ويسعى إليه كل الذين يعيشون في الفضيلة، والكل كما لو كان يشرب من إلهامه وبه يتقدم نحو غاية خَلْقِهِ.

هو يُكمِّل كل شيء، وهو لا ينقص شيئًا حتى لا يحتاج إلى تجديد حياة. فهو ينبوع الحياة، لا ينمو، ولا يضاف إليه، بل هو دائمًا ملآن، كائن في كل مكان، ينبوع التقديس، ونور لا يدركه إلَّا العقل، يُعطي من لدنه الاستنارة لكل قوة عقلية تطلب الحقّ.

بطبيعته غير مُدرك، ولكن يمكن الاقتراب منه ومعرفته بصلاحه، يملأ كل الأشياء بقدرته (حك ١) ويعطي المستحقين فقط، ولا يعطي بمكيال، بل يوزع هو قوّته على قدر الإيمان (رو١٢).

جوهره بسيط وقوّته متنوعه، حاضر كله في كل أحد لأنه حاضر في كل مكان.

موزِّع على الكل دون أن يعاني التقسيم، يشترك فيه الكل دون أن يفنى.

مثل أشعة الشَّمس تسقط على كل من يريد أن يتمتع بها كما لو كانت أشعة الشمس لكل فرد على حِدَة، لكنها تُضيء الأرض والبحر وتمتزج بالهواء. هكذا **الرُّوح القُدُس** بالنسبة لمن يأخذه يكون كمن أُعطي له وحده، إلَّا أنه يُرسل نعمته التي تكفي الكل والتي تملأ الإنسانية.

والذين ينالونه يتمتعون به على قدر ما تحتمل طبيعتهم وليس على قدر قوّة الرُّوح القُدُس.

ويبقى أن نقول أنَّ الرُّوح لا يتحد بالنفس ويستقر في مكان منها، إلَّا عندما **تختفي الأهواء** فكيف تحدث صلة محسوسة بمن هو غير محسوس؟!

وإنما اتحاد الرُّوح بالنفس يحدث عندما **تختفي الأهواء** التي تنمو في النفس **بسبب اتحادها ومحبتها للجسد وهو ما يجعل النفس تتغرب عن الشركة مع الله**. وعندما تَتنقَّى النفس **من عار الدنس الذي لحق بها بسبب فسادها** وتعود إلى جمالها الطبيعي تتمسَّك بالصورة الملوكية وتسترد شكلها الأول.

عند ذلك فقط يمكن أن تقترب **من البراقليط**.

والرُّوح القُدُس مثل الشمس يساعد العين النقية فترى عينيك في الرُّوح القُدُس نفسه صورة غير المنظور أي الله، وبالرؤيا المباركة لهذه الصورة ترى الجمال الفائق الذي تعجز عن أن تنطق به.

بمعونته ترتفع إلى فوق ويمسك بأيدي الضعفاء، أما الذين يتقدمون فهو يكملهم.

يشرق على الذين تطهَّروا من كل وصمة، ويجعلهم روحيين بشركتهم معه.

ويكون ذلك مثل سقوط أشعة الشَّمس على الأجسام الشفافة اللامعة. فتصبح بدورها روحانية وتشع منها نعمة للآخرين وتنال هذه النفوس من الرُّوح معرفة المستقبل وفهم الأسرار وإدراك الخفايا وتوزيع العطايا الصالحة والمواطنة السماوية ومكانًا في خورس تسبيح الملائكة وفرحًا بلا نهاية، وبقاءً دائمًا في الله والتشبه به وأسمى من كل هذا أن نصير آلهة (بالنعمة).

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الأحد الثاني من الفصح "أحد القديس الرسول توما" في دير القديس جاورجيوس الخوزيفي

٢٦-٤-٢٠٢٠

«إن هذا اليوم المدعو المقدس الذي هو أحد السبوت وملكها وسيدها إنما هو عيد الأعياد وموسم المواسم الذي فيه نبارك المسيح مدى الأدهار»، هذا ما يصدح به **القديس يوحنا الدمشقي**.

أيها الآباء والإخوة المحبوبون في المسيح

إنَّ النُّور الذي لا يعروه مساء نور يسوع المسيح مخلصنا القائم من بين الأموات قد جمعنا اليوم **في هذا الدير التاريخي للقديس جاورجيوس الخوزيفي** لكي نُعيّد لهذا اليوم المدعو المقدس أي التجديد وإعادة ولادتنا في المسيح إلهنا لأن «الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا.» (٢كور٥: ١٧) كما يكرز **القديس بولس الرسول**.

«وَكَانَ عِيدُ التَّجْدِيدِ فِي أُورُشَلِيمَ، وَكَانَ شِتَاءٌ.» (يو١٠: ٢٢). وكان **المسيح مع الشعب غير المؤمن الذين لم يصدقوهُ**، الذي هو الإله والهيكلُ أيضًا في نفس الوقت، (فالمسيح) هو الإله الأبدي، والهيكلُ الجديد العتيد أن يكون، فإنَّ هذا الهيكل (**أي هيكلُ سليمان**) سَيُهدَمُ يومًا ما ، وفي غضون ثلاثة أيام (أي بعد قيامة المسيح من بين الأموات)، سيتّمُ إعادةُ بناء الهيكل (أي هيكلِ جسدِ المسيح) وسيدومُ هيكلَ جسدهِ قائمًا إلى منتهى الدهر حتى أخلُصَ أنا من سقطتي القديمة وكي يدعوني مجددًا ويُعيدُ جبلي من خلال محبتهِ للبشر حتى أصبحَ خليقةً جديدةً، كما يعلمُ **القديس غريغوريوس اللاهوتي**.

إن **قيامة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الثلاثية الأيام** تُشكل إتمام سرّ التدبير الإلهي الذي هو **تأنّس وتجسُّد كلمة الله المسيح من دماء العذراء النقية والدة الإله الدائمة البتولية مريم**، لهذا فإنه **في هذا العيد الفصحي نبارك المسيح إلى جميع الأدهار**.

في هذا الأحد الثاني من الفصح نعيّد لتجديد قيامة المسيح وتفتيش القديس توما الرسول. «وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلاَمِيذُهُ أَيْضًا دَاخِلًا وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ، وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكُم، ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا .أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ: "رَبِّي وَإِلهِي".» (يوحنا ٢٠: ٢٦-٢٨)

ويُفسِّر **القديس كيرلُّس الإسكندري** شهادة **القديس توما** التي وردت في **إنجيل يوحنا** قائلاً: «إذن فلهذا السبب نحن معتادون أن تكون لنا اجتماعات مقدسة في الكنائس **في اليوم الثامن (أي يوم الأحد)** وإذا أخذنا المعنى الرمزي للنص كما يقتضي الأمر بالضرورة، فنحن نُغلق الأبواب ومع ذلك فإن المسيح يزورنا ويظهر لنا جميعًا بصورة غير منظورة وأيضًا بصورة منظورة. بصورة غير منظورة كإله وأيضًا بصورة منظورة في الجسد، فهو يدعونا أن نلمس جسده المقدس ويُعطينا إياه لأننا بواسطة نعمة الله يسمح لنا بالاشتراك في الإفخارستيا المباركة (القداس الإلهي) إذ نأخذ المسيح في أيدينا بقصد أن نؤمن بكل يقين أنه أقام حقًا هيكل جسده من الموت.»

إذًا فالاشتراك في الأسرار الإلهية بالإضافة إلى البركات الإلهية فهو **اعتراف حقيقي وتذكار لموت المسيح وقيامته**. لهذا فإن **أبينا القديس كيرلُّس** يجذب انتباهنا قائلًا: أنه بعد (المناولة ولمس المسيح) ينبغي علينا أن نهرب من عدم الإيمان به فهذا **جحود تام**، بل علينا أن نكون ثابتين تمامًا في ملء يقين الإيمان.

هلّموا إذن يا إخوتي لنجدّد نفوسنا أيضًا في **يوم القيامة البهي** لأَنَّ أجسادَنا هي «هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ» (١كو٦:١٩). إن هذه الشهادة الحقيقية يشهدها (عدم الفساد) أي قيامة المسيح التي أصبح **القديس جاورجيوس ويوحنا الخوزيفي، والقديس يوحنا الخوزيفي الجديد** مساهمين ومشاركين فيها.

ختامًا نتضرع إلى **والدة الإله المجد البهي التي هي أرفع سموًا من جميع الخلائق لكي تتشفع إلى ابنها وإلهنا من أجلنا نحن جميعًا.**

المسيح قام من بين الأموات ووطىء الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

الداعي لكم بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الأحد الثاني من الفصح "أحد القديس الرسول توما" في قانا الجليل ٢٦-٤-٢٠٢٠

«هلمّوا بنا في يوم القيامة المشهور نشارك ملكوت المسيح عصير الكرمة الجديد الذي للفرح الإلهي مسبحينه بما أنه الإله إلى الدهور.»

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيون الأتقياء

إنَّ المسيح إلهنا الذي احتمل الصلب وحطّم الموت وقام من بين الأموات قد جمعنا اليوم كلنا في هذا المكان والموضع المقدس في قانا الجليل لكي نُعيّد لِبِدَايَةِ الآيَاتِ التي فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَآمَنَ بِهِ تَلاَمِيذُهُ. (يوحنا ٢: ١١).

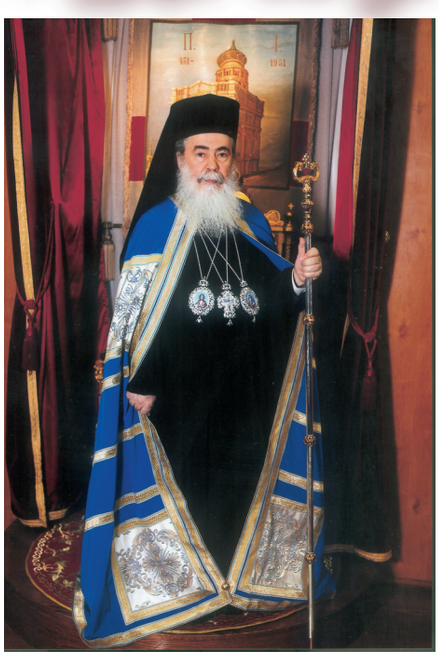

إن **عيد اليوم** ألَا وهو **أُعجوبة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل** والذي نُعيّدُ له في الأحد الأول من التجديدات أو ما يُعرف **بأحد توما** له أهمية ومكانةً خاصة وذلك لأن قيامة ربنا يسوع المسيح تُشكل الحقيقة الأساسية للإيمان المسيحي من جهة كما يُكرز القديس بولس: « فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ،» (١كور١٥:١٣-١٤)، ومن جهة أخرى فإن **الفصح** يُشكل قمة الأعياد **في كنيستنا الرّوميّة الأرثوذكسية الشرقية** كما يؤكد هذا القديس بولس الرسول قائلاً: «لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا.» (١كور٥:٧).

لقد اختار يسوع المسيح أن يصنع بداية آياته الإلهية أي عجائبه في يوم عُرس صديقه **سمعان القانوي** وبحضور **والدته القديسة والدة الإله الدائمة البتولية مريم**. ويدعو القديس بولس الرسول **الزواج سرًا عظيمًا** «إِن هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ.» (أفسس ٥: ٣٢)

ويُفسر **القديس يوحنا الدمشقي** أقوال **القديس بولس الرسول** هذه فيما يتعلق بتعليمهِ عن اتحاد **المسيح بكنيسته** قائلاً: «إن زواج الرجل بالمرأة يرمز إلى سرّ خفي حقيقي ألَا وهو اتحاد المسيح السّري بالكنيسة.»

وبكلامٍ آخر إن ما حدث في هذا العرس المقدس في قانا الجليل حيث تم سرٌ يرمز إلى الحقيقة الخفية، التي هي العُرس الروحي **للمسيح مع الكنيسة**. كما يؤكد مُعلِّمًا ذلك بوضوح القديس بولس الرسول: «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ

أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا،» (أفسس ٥: ٢٥)

علاوة على ذلك إن هذا التعليم للقديس بولس الرسول تؤكده شهادة القديس يوحنا الإنجيلي في سفر الرؤيا قائلاً: «لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ! لأَنَّ عُرْسَ الْخَرُوف «أي المسيح» قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ «أي الكنيسة» هَيَّأَتْ نَفْسَهَا.» (رؤيا يوحنا ١٩: ٧) ويُضيف «وَقَالَ لِيَ «أي الملاك»: «اكْتُبْ: طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخَرُوفِ!». وَقَالَ: «هذِهِ هِيَ أَقْوَالُ اللهِ الصَّادِقَةُ». (رؤيا يوحنا ١٩: ٩)

إنَّ ما سبق ذكره **من رؤيا القديس يوحنا الإنجيلي** تُشير لفرح المشتركين في الكنيسة الظافرة أي ملكوت الله والتي يُرمز إليها بعُرس الخروف « وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.» (متى٨:١١) **كما يقول الرَّب**.

وأما **اندرياس الكبادوكي** فيُفسر قول الرَّب عن المدعوين إلى عشاء الخروف، فيقول: «عشاء المسيح هو عيد المُخلَّصين الذين سيفرحون بحبورٍ وابتهاجٍ وانسجامٍ وهم المغبوطين الذين سيفوزون بالدخول مع عريس نفوسنا الطاهر إلى خدر العرس الأبدي.»

وعند العشاء السِّري أي عند تسليم سرّ الشُّكر الإلهي **فإن ربنا يسوع المسيح** قد أخذ خبزًا وقال لتلاميذه: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ ... وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي». (متى ٢٦: ٢٦-٢٩)

إن نتاج الكرمة أي الخمر هو عنصر أساسي لإتمام مراسيم الزواج، ويُشكل في العشاء السِّري صورةً وتذوقًا مُسبقًا للدم المسفوك من الجنب الإلهي المطعون لإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. فها هو السبب لماذا المسيح من جهة قد بارك الزواج ومن الجهة الأخرى بارك الخمر من خلال إظهار قوته الإلهية عبر **تحويل الماء إلى خمر في قانا الجليل**.

لهذا يرنم **القديس يوحنا الدمشقي** بفرح وابتهاج صادحًا:« هلموا بنا في يوم القيامة المشهور نشارك ملكوت المسيح عصير الكرمة الجديد الذي للفرح الإلهي مسبحينه بما أنه الإله إلى الدهور.»

وبكلام آخر فإن المسيح من خلال دمه الكريم المسفوك والمهراق على الصليب ومن خلال يوم نهوضه أي يوم قيامته قد جدَّد طبيعة البشر وألبسها البهاءَ وعدم الفساد وجعلها شريكةً للملكوته السماوي الأبدي وكما يقول **داود النبي**: «الرَّب قد ملك والبهاء قد لبس»، ويدعوه لعشاء الملكوت الأبدي بحسب شهادة **القديس لوقا الإنجيلي** قائلاً: «طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزًا فِي مَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا ١٤: ١٥)

أيها الإخوة الأحبة ها قد أصبح واضحًا بأن سرّ الزواج الذي يُتمّم في الكنيسة **تمنحه الكنيسة النعمة الإلهية** وهي نعمةٌ تقديسيّه تُقوي الزوجين وتجعلهما قادران أن يحيا بالمسيح في التفاني والحب المتبادل، «كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا» (أفسس ٥: ٢٥) واشتراكهم السرّيّ يرمز إلى السرّ الذي لا يُدرك ولا يُسبر غوره، **سرّ اتحاد المسيح العريس بالكنيسة عروسه**.

إن هذا السرّ الفصحي الإلهي الذي لا يُدرك للعُرس السّري مع العشاء قد أصبح مشاركًا به من نُكرمه اليوم من خلال عدم إيمانه الحسن ألَا وهو **القديس الرسول توما** الذي من خلال عدم إيمانه وعدم تصديقه «بقيامة المسيح» طلب أن يضع اصبعه بأثر المسامير وأن يضع يده في جنب المسيح القائم. **والمسيح بمحبته للبشر** جعله يتحقّق ويستكشف حقيقة قيامته الظافرة من خلال لمس جسده غير الفاسد ، **ليصرخ توما الرسول جهارا** : «**ربي وإلهي**».

ونحن أيها الإخوة الأحبة قد استنرنا بالنور الذي لا يعروه مساء نور إلهنا وربنا ومخلصنا يسوع المسيح القائم من بين الأموات صارخين:

المسيح قام من بين الأموات ووطىء الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

الداعي لكم بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

« نأخذ المسيح في أيدينا بقصد أن نؤمن بكل يقين أنه أقام حقًا هيكل جسده من الموت» (القديس كيرلُّس الاسكندري)

✝ **(يقول القديس يوحنا المعمدان):** « أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ.» (مت ٣: ١١).

✝ **(يقول الرب يسوع):** «جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟» (لو ١٢: ٤٩).

✝ «وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ... وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ...» (أع ٢: ١،٣).

في مواقف كثيرة عَبْرَ التاريخ المقدس، تُمثِّل النَّار ظهورات واستعلانات إلهية على الأرض، لتُعبِّر عن **قداسة الله المطلقة** وطبيعته التي **لا تحتمل الشر**، والقادرة أن تُنير وتُلهب وتُطهِّر وتقدِّس.

فأول ذِكْر **للنار هو لهيب السيف المتقلِّب الذي في يد الكاروبيم لحراسة طريق شجرة الحياة بعد سقوط آدم وحواء وطردهم** من الفردوس (تك ٣: ٢٤).

ثم يأتي ذِكْر النار بعد ذلك عندما ظهر الرَّب لأبرام في الرؤيا وقال له: «لاَ تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا» (تك ١٥: ١). ووعده الرّب أن يُعطيه نسلًا يخرج من أحشائه ليرث الأرض التي تغرَّب فيها طاعةً لأمر الرَّب. فآمن أبرام بالرّب فحَسِبَه له برًّا، والتمس علامة عهد من الرَّب لميراث هذه الأرض، فأمره الرَّب أن يُقدِّم ذبائح من عِجْلة وعنزة وكبش ويمامة وحمامة، «ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ فَصَارَتِ الْعَتَمَةُ، وَإِذَا تَنُّورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطَعِ.» (تك ١٥: ١٧).

ثم ظهر ملاك الرَّب لموسى بلهيب نار من وسط عُلَّيقة وهو في جبل حوريب بينما كان يرعى غنم حميه. فنظر موسى وإذا العُلَّيقة تتوقَّد بالنار ولا تحترق!! فلما دنا موسى لينظر هذا المنظر العجيب، ناداه الرَّب من وسط العلَّيقة وأرسله إلى مصر ليُخلِّص بني إسرائيل من عبودية فرعون (خر٣: ٢،٣). وكانت النار المشتعلة في العلَّيقة رمزًا للتجسُّد الإلهي.

وعند خروج بني إسرائيل من مصر «كَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً. لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ.» (خر ١٣: ٢١،٢٢). وكان ذلك رمزًا لمرافقة الرَّب لنا وسُكناه فينا بشخصه وبروحه في العهد الجديد: «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مت ٢٨: ٢٠)، «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يو١٦: ١٣).

وفي برية سيناء تراءى الرَّب لجميع شعب إسرائيل، ورآه كل الشعب عندما حلَّ على الجبل: «وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ اجْلِ انَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الاتُونِ وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدّا. فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادا جِدّا وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ.» (خر١٩: ٢٠). «وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ارْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ، وَقَالُوا لِمُوسَى: «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ». فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لاَ تَخَافُوا. لأَنَّ اللهَ إِنَّمَا جَاءَ لِكَيْ يَمْتَحِنَكُمْ، وَلِكَيْ تَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لاَ تُخْطِئُوا». فَوَقَفَ الشَّعْبُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَمَّا مُوسَى فَاقْتَرَبَ إِلَى الضَّبَابِ حَيْثُ كَانَ اللهُ.» (خر٢٠: ١٨-٢١). «وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.» (خر ٢٤: ١٧).

وفي أيام **إيليا النبي**، عندما رأى الشعب قد مال بعيدًا عن عبادة **الله وعبدوا البعل**، دعا جميع الشعب وكهنة البعل وقال لهم: «إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللهَ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ». فَلَمْ يُجِبْهُ الشَّعْبُ بِكَلِمَةٍ. ثُمَّ قَالَ إِيلِيَّا لِلشَّعْبِ: «أَنَا بَقِيتُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ وَحْدِي، وَأَنْبِيَاءُ الْبَعْلِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلاً. فَلْيُعْطُونَا ثَوْرَيْنِ، فَيَخْتَارُوا لأَنْفُسِهِمْ ثَوْرًا وَاحِدًا وَيُقَطِّعُوهُ وَيَضَعُوهُ عَلَى الْحَطَبِ، وَلكِنْ لاَ يَضَعُوا نَارًا. وَأَنَا أُقَرِّبُ الثَّوْرَ الآخَرَ وَأَجْعَلُهُ عَلَى الْحَطَبِ، وَلكِنْ لاَ أَضَعُ نَارًا. ثُمَّ تَدْعُونَ بِاسْمِ آلِهَتِكُمْ وَأَنَا أَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ. وَالإِلهُ الَّذِي يُجِيبُ بِنَارٍ فَهُوَ اللهُ» (١مل ١٨: ٢١-٢٤). وهكذا فعلوا، **وصرخ أنبياء البعل إلى آلهتهم حتى الظُّهر، ولم يكن صوتٌ ولا مُجيب. ثم صرخ إيليا إلى الرب** «فَسَقَطَتْ نَارُ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالْحَطَبَ وَالْحِجَارَةَ وَالتُّرَابَ، وَلَحَسَتِ الْمِيَاهَ الَّتِي فِي الْقَنَاةِ.» (١مل ١٨: ٣٨).

جميع هذه كانت **ظهورات إلهية** تُعلن عن حضرة ذاك الذي قيل عنه إنه: «يمسّ الجبال فتُدخّن» (مز ١٠٣: ٣٢)، وإنه «يَسْكُنُ فِي وَقَائِدَ أَبَدِيَّةٍ؟» (إش٣٣: ١٤)، «لأَنَّ إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ » (عب ١٢: ٢٩).

أما في يوم الخمسين فقد ظهر **الرُّوح القدس**، روح الحقّ المنبثق من الآب، على شكل ألسنة نارية منقسمة على رأس كل واحد من تلاميذ الرَّب المجتمعين بروحٍ واحدة ونفسٍ واحدة في انتظار وعد الرَّب لهم بأن يُلبسوا قوة من الأعالي (لو ٢٤: ٤٩).

✚ فماذا قال الآباء عن نار الرُّوح القُدُس هذه؟ ✚

✝ يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:**

«كما تحرق النَّار الأشواك، هكذا يمحو الرُّوح القُدُس الخطايا» (١).

✝ ويُصوِّر لنا **القديس كيرلُّس الإسكندري** هذا الحلول بمثال الحديد المشتعل بالنار، فيقول:

«إن البشرية التي قَبِلَت إليها كلمة الله غير الفاسد المُحيي، قد تحرَّرت من الفساد واستنارت بأشعة معرفة الله الحقيقيّة، كما يُشارِك الحديد المشتعل في قوة النار» (٢).

✝ ويُعبِّر **القديس باسيليوس الكبير** عن عمل الرُّوح القُدُس في تقديس النفوس بقوله:

«كما أننا لا نستطيع أن نفصل النار عن فعل التدفئة، ولا النور عن فعل الإضاءة؛ هكذا لا نستطيع أن نفصل عن الرُّوح القُدُس فعل التقديس وتجديد الحياة والإصلاح والتقويم» (٣).

✝ **والقديس باسيليوس** وهو يشرح رؤيا العلّيقة المشتعلة، يقول:

« إن النار ظهرت (لموسى النبي) بلمعانها فقط، واحتجزت إلى حين قوتها الحارقة، كيما تُعلِّمنا أنه في يوم المجازاة ستتقسَّم الخواص الطبيعية للنار، وسيكون النور ليتنعَّم فيه الأبرار؛ أما الإحراق الرهيب فسيكون لِمَن يستحقون العقاب» (٤).

✝ لقد ظهر الرُّوح القُدُس على شكل ألسنة نار كيما يُلقِّنا نموذج المحبة التي يبلغ تشبيهها إلى سرِّ الأقنوم الثالث؛ هكذا يقول **المغبوط أوغسطينوس** في إحدى عظاته الفصحية للمعتمدين الجُدُد:

«إن الرُّوح القُدُس أَظهَر نفسه في شكل ألسنة نار، لأنه يوصي بالمحبة التي تجعلنا حارين فيما لله، وتجعلنا نحتقر العالم. إنه يحرق فينا شوائب الإنسان العتيق، ويُطهِّر قلبنا مثل الذهب. هذا هو سرُّ المسحة المقدسة التي تهبنا نار الروح القدس بعد المعمودية بالماء» (٥).

✝ ويذكر **المغبوط أوغسطينوس** في موضع آخر أنَّ:

«النار الإلهية تحل ليس فقط في النفس، بل في الجسد أيضًا، وتحرق منه كل ما هو بشري حتى يُبتلَع الموت إلى نصرة» (٦).

✝ وبتعبير جميل يُصوِّر **المغبوط أوغسطينوس** للمعتمدين الجُدُد كيف صاروا خبزًا واحدًا، فيقول:

«إن صوم الأربعين المقدسة، والصلوات، ورغبة الانضمام إلى الكنيسة، قد طحنوكم معًا كحبوب الحنطة تحت الرَّحَى. ثم إنَّ ماء المعمودية قد بلَّل جُبلتكم هذه، فعُجنتم معًا وشُكِّلتم خبزًا، ولكن ليس من خبز بدون نار. لقد جاءت النار مع مسحة التكريس التي هي سرّ التثبيت بالرُّوح القُدُس.

فالرُّوح القُدُس الذي ظهر على شكل ألسنة نارية في يوم البنتيقسطي، هو الذي يُلهمنا المحبة، ويجعلنا نحترق من أجل الله، ونحتقر العالم. فالنار تأتي بعد الماء، وأنتم قد صرتم خبزًا الذي هو جسد المسيح، وهذا يُمثِّل الوحدة بينكم بصورةٍ ما» (٧).

✝ وفي حوار دار بين **الناسك يوسف الكبير** وتلميذه لوط، يقول البار يوسف لتلميذه:

«إنك لا يمكن أن تصير راهبًا إن لم تصبح ملتهبًا كلِّيةً بالنَّار».

– فقال له تلميذه:

« يا أبي، إني على قدر استطاعتي أُكمل خدمتي الصغيرة، وأصوامي المتواضعة، والصلاة والتأمُّل، وأحفظ السكون، وبقدر الإمكان أحفظ أفكاري نقية. إذن، فماذا يبقى عليَّ أيضًا لأفعله؟»

– أما الشيخ فنهض وبسط يديه نحو السماء، وصارت أصابعه كعشرة مصابيح نار، وقال له:

«إن أردتَ، تستطيع أن تصبح بجملتك مثل النَّار» (٨).

✝ أما **القديس أنطونيوس الكبير** فيُوصينا في رسائله:

« وكونوا عالمين بقلوبكم بالذي يطلب من الله لأجلكم النار التي ألقاها الرَّب يسوع على الأرض (مت ٦: ١٩) يُلقيها في قلوبكم، لتستطيعوا أن تتدرَّبوا في عزائمكم وحواسكم، وتميِّزوا بين الخير والشَّر، وبين أهل اليمين والشمال، والأمور الثابتة وغير الثابتة» (٩).

✝ ويقول أيضًا **القديس أنطونيوس الكبير**:

« هذا وأُريدكم أيضًا أن تعرفوا ما أقوله لكم وأشهد به. بالحقيقة، يا أولادي الأحبَّاء، أنَّ كل مَن لم يُبغض ما يختص بالطبيعة الهيولانية (أي المادية) الأرضية مع كل أعمالها بكل قلبه، ويبسط عقله نحو العلاء لآب الكل؛ لا يستطيع أن يخلُص. أما مَن يعمل هكذا كما قلتُ، فإن ربنا يتراءف على أتعابه، ويُنعِم له بالنار غير المرئية وغير الهيولانية (أي غير المادية) لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتُطهِّر عقله. عند ذلك يسكن فيه الروح الذي لربنا يسوع المسيح، ويكون معه، ليستطيع أن يسجد للآب كما يجب...» (١٠).

✝ أما **القديس مكاريوس الكبير** فيقول في عظاته:

«فمن حيث كان الرسل في نفوسهم أنوارًا!! أعطوا النُّور لكل المؤمنين، فأناروا قلوب الناس بنور الرُّوح السَّماوي، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين به» (١١).

« إن النفس تحتاج إلى المصباح الإلهي، وهو الرُّوح القُدُس، الذي يُنير بيت النفس المُظلم» (١٢).

(1) عظة على البنتيقسطي – PG 52,805.
(2) كتاب: «عظات فصحية» – PG 77,785-788.
(3) عظة على الإيمان – PG 31,469.
(4) عظة على الهكساميرون (ستة أيام الخليقة) –3،6 2 D) PG 29).
(5) عظة –4،227 PL 38,1100.
(6) في شرح المزامير –23،50 PL 36,599 B.
(7) عظة –4،227 PL 38,1100 B.
(8) أقوال الآباء عن أبَّا يوسف من بانيفو 7،6.
(9) «رسائل القديس أنطونيوس»، الرسالة الثالثة، الطبعة الثالثة 2009، ص 19.
(10) «رسائل القديس أنطونيوس»، الرسالة الخامسة، الطبعة الثالثة 2009، ص 23.
(11) العظة الأولى، «الروح القدس الرب المُحيي»، الكتاب الأول، الطبعة الثالثة 2006، ص 89.
(12) العظة 11، « الروح القدس الرب لمُحيي»، الكتاب الأول، الطبعة الثالثة 2006، 89.

القديس ديونيسيوس ووباء الاسكندرية

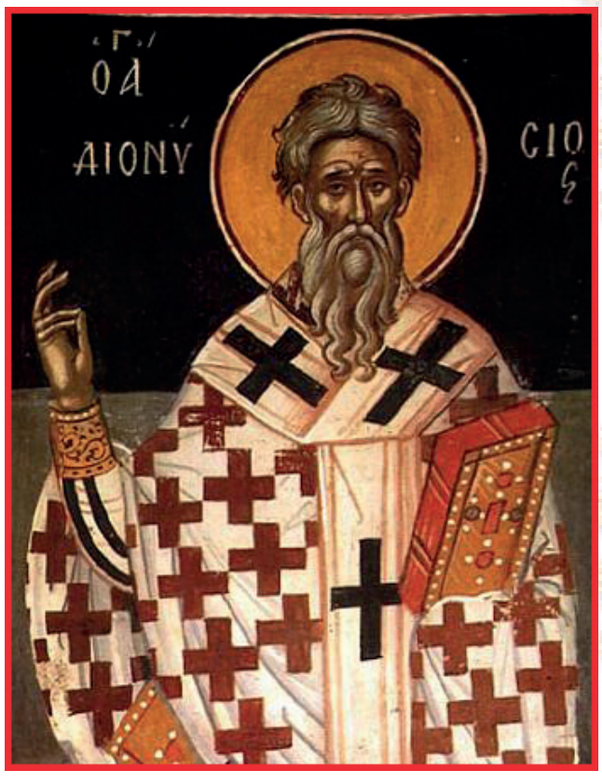

عن رسالة لإفسابيوس القيصري

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كان **القديس ديونيسيوس الكبير بابا وبطريرك الإسكندرية** ما بين عامي ٢٤٨ و٢٦٤. في تلك الفترة عانت **كنيسة الإسكندرية** من اضطهاد مريع. وما أن انتهى الاضطهاد حتى **ضرب المدينة وباء** مع اقتراب **عيد القيامة**. وصف **القديس ديونيسيوس** هذا الوباء وردة فعل الكنيسة في رسالة إلى بعض أبنائه خارج الإسكندرية. إنها رسالة مناسبة في هذه الأيام فيما الكنيسة تحاول التعاطي مع **فيروس الكورونا**، وذلك فيما نحن **ما بين القيامة والعنصرة**. أورد هذه الرسالة **إفسابيوس في تاريخ الكنيسة، الفصل السابع**:.

«لاحقًا عندما **تبع الحربَ الوباء القاسي** فيما كان الاحتفال بعيد **(القيامة)** يقترب، تواصل **القديس ديونيسيوس** كتابةً مع الجماعة المسيحية كاشفًا أهوال الكارثة:-

لا يعتقد الآخرون أن هذا وقت للاحتفال... الآن، للأسف! كل شيء **هو رثاء**، الجميع في حداد، والمدينة صاخبة بالنوح بسبب أعداد الذين ماتوا ويموتون كل يوم. الوضع يشبه ما يخبره الكتاب المقدس عن **أبكار المصريين**، لذلك هناك صرخة عظيمة الآن: لا يوجد منزل ليس فيه ميت واحد – وكم كنتُ أتمنّى لو كان واحدًا فقط!.

لقد حدثت لنا العديد من الأشياء الفظيعة حتى قبل ذلك. في البداية **كنا مُداسين يحاصرنا المضطهدون والقتلة**، ومع هذا كُنَّا الوحيدين الذين حافظوا على الاحتفال في ذلك الحين. كل مكان **تعرضنا فيه لهجوم** أصبح لنا مكانًا للاحتفال، سواء أكان ميدانًا أو صحراء أو سفينة أو نزلًا أو سجنًا. **أبهرُ المواسم على الإطلاق كان احتفال الشهداء الذين عيّدوا**. من ثمّ جاءت **الحرب والمجاعة** التي ضربت المسيحيين والوثنيين على حدٍّ سواء. كان علينا وحدنا أن نتحمل الإصابات التي تسببوا بها لنا، لكننا استفدنا مما فعلوه لبعضهم البعض وما عانوه على أيدي بعضهم البعض؛ ولذلك ومن جديد **وجدنا الفرح في السلام الذي أعطاه المسيح لنا وحدنا**. ولكن عندما سمح لنا ولهم بحيّز صغير للتنفس، **جاء هذا المرض من العدم، وهو أمرٌ أكثر رُعبًا لهم من أي إرهاب، ومخيف أكثر من أي كارثة مهما كانت**، وكما كتب أحد مؤرخيهم **(ثوسيديديس)** ذات مرة: «**الشيء الوحيد الذي تجاوز كل التوقعات**». لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لنا، بل كان تعليمًا واختبارًا قَيمًّا كمثل جميع تجاربنا السابقة؛ لأنه لم يغلبنا رغم أن تأثيره الكامل سقط على الوثنيين ...

غالبية **الإخوة المسيحيين** أظهروا محبة لا حدود لها والتزامًا، غير موفّرين ذواتهم ومفكّرين فقط ببعضهم البعض. من دون خوف من الخطر، اخذوا المرضى على عاتقهم مهتمّين بكل حاجاتهم وخادمين لهم في المسيح، ومعهم تركوا هذه الحياة فرحين بصفاء؛ لأنهم أصيبوا كالآخرين بالمرض آخذين على أنفسهم مرض إخوتهم مقتبلين آلامهم بسعادة. كثيرون، في تطبيبهم وشفائهم للآخرين، نقلوا موت الآخرين إلى أنفسهم وماتوا في أماكنهم، عاكسين الصيغة المشتركة التي هي بالعادة مجاملة فارغة في الحقيقة: إن عبدك المتواضع يقول لك وداعًا. أفضل إخوتنا خسروا حياتهم بهذه الطريقة، عدد **من الكهنة، الشمامسة، والعلمانيين** الذين كسبوا ثناءً، حتى أن الموت بهذا الشكل، **نتيجة لتقوى عظيمة وإيمان قوي، يظهر بشتّى الطرق مساويًا للشهادة**. بأيدي مريدة رفعوا **أجساد القديسين** إلى أحضانهم؛ أغلقوا أعينهم وأفواههم، حملوهم على أكتافهم وأضجعوهم؛ تعلّقوا بهم، عانقوهم، غسلوهم، ولفّوهم بأكفانهم. وسريعًا بعد ذلك أقيمت لهم الخدمة نفسها لأن الباقين يتبعون السابقين ...

الوثنيون تصرفوا بصورة معاكسة تمامًا. عند أول ظهور للمرض، أبعدوا الذين يعانون وابتعدوا عن أحبائهم، رموهم في الطرق قبل أن يموتوا وعاملوا الجثث غير المدفونة كالقذارة، معتقدين أنهم يوقفون انتشار المرض القاتل وَعَدْوَاهُ؛ ولكن مع كل ما عملوه، وجدوا النجاة عسيرة.»

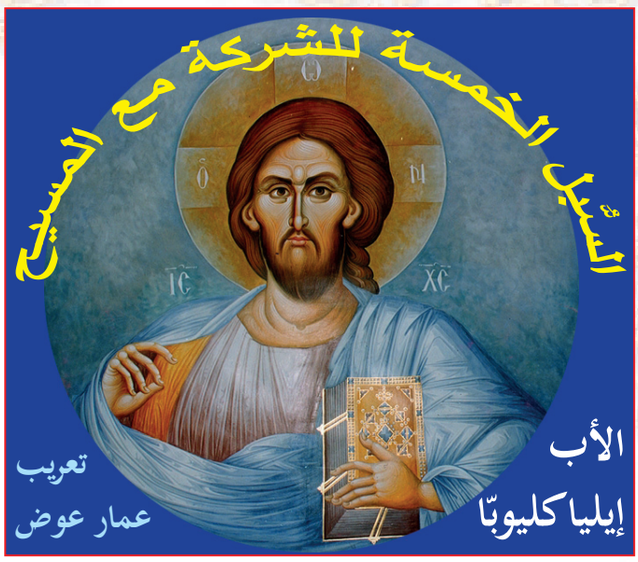

إن الاشتراك **بالأسرار الطاهرة**، أن نتناول **جسد الرَّب ودمه**، هو السِّرُّ الأكثرُ رهبة وصلاحًا وقداسة، لأن المخلص يقول: «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ.» (يو٦: ٥٦)

لكن الشَّرِكة مع المسيح في كنيسته ممكنةٌ، حقًا، عبر خمسة طرق:

الشَّرِكة الأولى والأهم هي **جسد الرَّب ودمه**.

الشَّرِكة الثانية، بحسب **القديس باسيليوس الكبير**، هي الشَّرِكة الروحيّة عبر طريق الصلاة القلبية الوَرِعَة. حتى إن أوقفكَ الكاهن عن المناولة لعدّة أعوام، يمكنك أن تأتي إلى الكنيسة، وأن تَقتبلَ المسيح آلاف المرات في اليوم وأكثر، من خلال طريق آخر، طريق الصلاة. إذا كنتَ تأتي إلى الكنيسة، وتقول الصلاة: «**يا ربِّي يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ**»، من كل قلبك، فبعدد المرات التي تتنهَّد فيها ذاكرًا اسم يسوع، تشترك معه كما لو أنك أخذت بالملعقة الأسرار الإلهيّة. هذه هي الشَّرِكة عبر طريق الصلاة القلبية الوَرِعَة، والتي من خلالها يمكن للإنسان أن يقتبلَ المسيح مرّات كثيرة في اليوم وليس لمرّة واحدة فقط، كما لو أنه يتناول بالملعقة من الكأس المقدّسة ...

السبيل **الثالث للشَّرِكة**، هو عبر تطبيق وصايا المسيح. **لان المخلّص** وضعَ لنا فرائض الصوم والصلاة، وأظهر لنا كيف نصوم ونصلّي. كذلك تتميم الوصايا الروحية: الاهتمام بالغريب وحسن الضيافة، أن نروي ظمأ العطشان، أن نُطعِم الجائع، أن نزورَ المحبوسين، وأن نغفر لمن يخطئ إلينا. عندما نقوم بهذه الوصايا، نقتبلُ المسيح عبرَ تطبيق وصاياه؛ هذا هو السبيل **الثالث للشَّرِكة**. ومن خلاله، يمكنك أن تدخل في شركة مع المسيح لمرّات كثيرة في اليوم، بعدد المرات التي تطبّق فيها وصاياه. اسمع ما يقوله **مكسيموس الإلهي** في الفيلوكاليا: « المسيح يختبئ في وصاياه، من يطبّق وصيّةً يقتبِلُ المسيحَ، وليس فقط المسيح، بل كل الثالوث القدّوس». واسمع ما يقوله **الكتاب المقدّس**: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي،وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً.» (يو١٤:٢٣). يتّضحُ أنه ليس الابن فقط، بل والآبُ أيضًا يأتي. وحيث الآبُ والابنُ، يقتبلُ كلَّ الثالوث القدوس ذاك الذي يعمل وصايا الله، حتى لو كان **مُوقفًا**، من قبل الكاهن، عن المناولة المقدّسة. أتفهمون؟ هذا هو السبيل **الثالث للشَّرِكة**، عن طريقِ تطبيقِ وصايا المسيح.

الشَّرِكة الرابعة هي بالسماع. كيف؟ أنا **مُوقَفٌ** من قبل كاهن لأعوام عن المناولة، لكنني أذهب إلى الكنيسة وأستمع بورعٍ **إلى القداس الإلهي؛ الرسالة، والإنجيل، والشيروبيكون، وبواجب الاستئهال، وعِظَة الكاهن**. إذا كنتُ أستمع بخشوع لكلمة الرّب، فبعدد المرّات التي آخذُ فيها فهمًا روحيًا بالسماع، أكونُ قد اقتبلتُ المسيح. هذه شَرِكة مع المسيح عبر الأذنين. هذا هو السبيل **الرابع للشَّرِكة**، ويقول الرسول بشكلٍ واضح: «إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ.» (رو ١٠: ١٧). أنت تقتبل المسيح بالملعقة، وأنا أقتبله بالأذنين، عندما أسمع بورع القدّاس الإلهي، والتراتيل، وعظة الكاهن، أقتبلُ المسيح آلاف المرات دون أن تعرف أنت. إذا لم تتهيأ أنت بشكلٍ جيّد، يمكن أن تكونَ المناولة دينونةً لكَ، أمّا أنا فأمكثُ في الكنيسة بإيمانٍ كذاك الذي للعشار، وأسمعُ الخدمة بورعٍ، وأقتبلُ المسيح عبر الأُذنين. هذه **طريقةٌ رابعةٌ في الشركة**..

السبيل **الخامس للشَّرِكة** هو عبر الذكرانيّات، أي الأجزاء التي تُقتطع من أجلنا في القدّاس الإلهي، لذلك لا يُمكننا أن نذكر (في الذبيحة) أولئك المدمنين على الكحول، أو الشتّامين، أو الذين يعيشون في المساكنة، أو الهراطقة، أو القتلة، لأنَّ ذلك الجزء الذي يُقتطع يمثل حضور تلك النفس. هذه الأجزاءُ تُقدَّسُ عند الاستحالة، من خلال استدعاء الرُّوح القُدُس. وفي نهاية الخدمة، بعد أن يوضَع في الكأس جزء الحمل الذي عليه اسم يسوع، يقال: «**كمال كأس الإيمان بالروح القدس**» (٢)، وبعدها توضع الأجزاء التي تُقتطع من أجل المؤمنين في الدم الإلهي، في الكأس المقدّسة (٣)، هناك حيث يوجد جسدُ المسيح الحي ودمه. من القربانة الرابعة تُقتطع الأجزاء الخاصة بالأحياءِ، ومن الخامسة الأجزاء الخاصة بالراقدين (٤)، وتُوضَع في الكأس المقدّسة. من خلال هذه الأجزاء الصغيرة كحبات الطحين والتي تُروّى بالدم الإلهيِّ في الكأس، تقتبل آلاف النفوس، لا بل الملايين، الشركة الإلهية والمباشرة مع يسوع المسيح بجسده ودمه. إذًا هذه هي **الطُرق الأربعة للشركة** عبر سلوك طريق الأعمال الصالحة، والتي لا تحل مكان الأولى (الشَّرِكة بجسد المسيح ودمه) (٥).

---

(١) العنوان الأصلي للحديث هو «الأنواع الخمسة للشَّرِكة»، ارتأيتُ تعديل العنوان ليكون أكثر وضوحًا للقارئ باللغة العربية.

(٢) في الترجمة العربية المستخدمة نقول: «كمال الرُّوح القُدُس».

(٣) بحسب تقليد الكنيسة الرومانية، توضع الأجزاء الخاصة بالأحياء والأموات في الكأس المقدسة قبل المناولة، وليس بعدها، مع الاحتفاظ بالحمل دون تقطيع إلى أجزاء صغيرة، ويقوم الكاهن أثناء المناولة باقتطاع أجزاء من الحمل لمناولة المؤمنين.

(٤) يستخدم الكاهن الروماني لتحضير الذبيحة في القداس الإلهي خمس قرابين.

(٥) في حال دنو الأجل (الاحتضار) يركز الأب كليوبا على ضرورة المناولة الإلهية كشركة في المسيح لا بديل عنها.

«برج بابل اليوم»

للقديس يوحنا الروماني

بقلم الأب انطوان ملكي

تبدأ **الكنيسة الرّومية الأرثوذكسية** الأسبوعَ الرابع من الصوم **بالسجود للصليب المقدس**، وهي بذلك تشدّد على أنَّ الصليب في وسط الأرض كما هو في وسط الصوم. في صلاة المساء من يوم الخميس في هذا الأسبوع، بعد أن ترتل الكنيسة «إذ قد استحقينا أن نشاهد صليبك المقدس ونصافحه بفرح»، تُقرأ قصة برج بابل من كتاب التكوين (١١:١-٩).

في هذه القصة، نتعلّم كيف انتشر الجنس البشري على وجه الأرض. لأن البشر، في كبريائهم، رغبوا ببناء برج طويل يصل إلى السماء، لكن الله بلبل ألسنتهم. إنَّ هذه الرواية هي نقطة تحوُّل عظيم في تاريخ البشر الذين بعد الطوفان مالوا عن الله وَسَعُوا **إلى تمجيد جهودهم الخاصة**، متناسين السلام الداخلي الذي منحهم إياه الله بعد الطوفان. لهذا يفهم المسيحي أن تنوّع لغات البشر هو رحمة كبيرة من الله، إذ منعهم من التكاتف معًا من أجل الشرّ، وعلّمهم التواضع. من هنا أن **ارتفاع الصليب بدلًا من البرج** هو لتذكير الإنسان بأن علاج الطرد من الجنة هو بهذا الصليب، وليس بأي أمر آخر.

العديد من آباء الكنيسة تكلّموا عن برج بابل منذ **القديس أفرام السوري** إلى اليوم. **القديس يوحنا الروماني**(١) الراقد حديثًا في ١٩٦٠، يحدّثنا بكلام نفهمه جيدًا لأنه من عصرنا. للقديس رسالة بعنوان «**برج بابل اليوم**» من كتاب سيرته يقول فيها:-

«بعد الطوفان ابتعد الناس مُجددًا عن الله، ولأنهم ابتعدوا صاروا مُجددًا يتوقّعون طوفانًا. لهذا قرّروا بناء برج بابل أو القلعة البابلية. وقد شاؤوا أن يبنوها أعلى من الغمام حتى لا تعود المياه مصدر تهديد لهم. وبسبب هذه العتاهة بَعْثَرَ الله ألسنتهم وما عادوا قادرين على إتمامه.

الناس في هذا العصر ليسوا أفضل من ناس ذاك الزمان. اليوم، الجميع يعرفون أنهم ابتعدوا عن الله، وهم يتوقّعون عقابًا من السماء. ولكنهم بدلًا من اختيار **فُلك الخلاص، أي الكنيسة، بالإيمان القويم والتوبة**، وبدلًا من السعي إلى الله، هم متسمّمون بالحضارة يبنون من جديد بُرجًا لأنفسهم كما في بابل قديمًا. إن «برج بابل» زماننا ليس بناءً من حجر وقرميد، بل هو السِّباق المحموم إلى الاختراعات.

يقول الناس أن اختراع السيارات والأسلحة جعل حياة الإنسان أكثر سهولةً وضَمِن أمانها، أي حفظه. ولكن كم هو خاطئ هذا الرأي! في النهاية، واضح جدًا أن على قَدْر تحديث العالم وزيادة الاختراعات ازداد الشرّ وصارت حياة الإنسان أكثر مرارة ومحفوفة بالمخاطر. لم يكن الناس يومًا ملتاعين من القلق واليأس كما في أيامنا، عندما ازدادت الحضارة ...

وكما ترون، إن هذه الحضارة الزائدة بأزيائها الجديدة، علّمت الناس بأن يتجوَّلوا عُراة، أي أنها قضَت على الحياء فيهم. لقد علّمت الناس أن يكفّوا عن البحث عن الله أي أنها أخمدت الإيمان المقدس. لقد علّمت الحكام أن يخدعوا الشعب بِمَكر، وأن يستعبدوهم بشكل أكثر لا إنسانية من أيام فراعنة مصر. بتعبير آخر، إن العطش إلى الحضارة قمع الحقيقة وحرية الناس. إن الحضارة الكاذبة علّمت الناس كيف يخترعون، أي اختلقت الأسلحة الأكثر رعبًا لمسح الناس وبالتالي أطاحت بالمحبة خارجًا من العالم.

العلم الحديث أتاح للإنسان أن يطير في الهواء ويسافر على الماء في قلاع عائمة. العلم أعطى الإنسان جناحي طير ورِجلين من حديد لكي يندفع على طريق الباطل ولكنه سدّ عليه طريق الصلاة. لقد بنى العلم الحديث أبنية عملاقة على طريق الكنيسة فيما عبّد بالأسفلت طريق المعصية ورشّها بالزهور. بفضل سرعة السيارات قصرَت المسافات بين البلدان وتقاربت آذان الناس بالهواتف والراديو. الفنون الحديثة دللت الأجساد وقرّبتها لكنها أبعدت الله عن القلوب. العقل تقدّم لكن القلب بَرَد. العلوم أخصبَت لكن الإيمان يعاني الخسران. حضارة اليوم قصّرَت ثياب الناس وقصّت ذقونهم وشعرهم ومن ثم مَحَت الأديار عن وجه الأرض.

وهكذا باختصار، هذا الخطر أي الحضارة أو التقدم، لا يترك لكل المولودين على الأرض ما يتباهون به: كما لم يكن من قبل أبدًا، هذه الحضارة غمرت الأرض بالدموع، وَسَّعَتْ المقابر في الحروب بشكل مُرعب، فرشت الأُفق بدخان المحركات، وملأت السماء بطيور عملاقة ذوات مناقير معدنية، جاهزة لتبخير العالم. ولكي تكسب وقتًا لإنجاز "برج بابل"، أي الاختراعات العلمية، فإن مقاولي البلدان المسمّنة يدعون دائمًا إلى مؤتمرات سلام. لكن الله، إذ رأى حنكتهم، شوّش عقولهم كما شوّش الألسنة البابلية، فلن يكونوا قادرين بعد الآن على فهم بعضهم البعض»(٢).

بحسب نظرة **القديس يوحنا الروماني**، كل اختراع يزيد برج بابل

ارتفاعًا. رقد القديس قبل أن يصل العالم إلى الدور العليا من البرج. لم يتسنَّ له أن يقرأ **عن حرب النجوم، الاستنساخ، الرجال الآليين، أشباه الناس** *(humanoids)*، **الهندسة الجينية، البشرية المعززة** *(Augmented Humanity)*، **وهب الأعضاء، والأنثروبولوجيا الرقمية** *(digital anthropology)*. رَحَلَ قبل أن يأتي التواصل الاجتماعي وحتى قبل الإنترنت ولم يرَ الناس يتباهون بأنهم جعلوا العالم قرية صغيرة تشدّها الألياف الضوئية كما تغطيها شبكة طيران تصل إلى كل مكان.

لم يعِش قديسنا أيضًا ليتعرّف على **الكورونا**. **على تلك الجرثومة التي عطّلت شركات الطيران وأعادت القرية الصغيرة، دُوَلًا تُغلق حدودها على بعضها، حتى أن بعضها يتخلى عن أبنائه ولا يسمح لهم بالعودة إليه. مجتمعات تضطر إلى اختيار مَن يموت. اقتصادات الدول تهتز، وشركات ضخمة وعالمية تصرِف موظفيها**. **برج بابل** مُهدّد لأن الذين بنوه يتبادلون التُّهم والتشكيك في مَن هو الذي أنتج الجرثومة. الطبّ الذي تنطّح بأنه صار قريبًا من تركيب إنسان جديد، يقف مُشتتًا أمام جرثومة صغيرة. كمية المعلومات التي ترد يصعب حصرها خاصة مع الكم الكبير من التناقضات التي فيها.

برج بابل مهدّد لأن اللغة الواحدة التي سعت إليها البشرية في العلوم ليست لغة الله، بل لغة العقل والمنطق والبحث والمنهجيات والنفعية والتجارة. **أُلِّه العقل وأُلِّه العلم وأُلِّه الإنسان إلَّا الإله الحقيقي بات مُبعَدًا**، مَنسيًا أو مُستغلاً. **برج بابل** قد لا توقعه **الكورونا**، لكنها تدعو العالم ليعيد النظر بأولوياته وحججه ومشاريعه. إنها مرحلة. ونحن واثقون أن في النهاية **الله** يقوم ويحكم في الأرض لأنه يملك جميع الأمم.

(١) القديس من رومانيا مولود ١٩١٣ بدأ حياته الرهبانية في دير نيمتس في رومانيا ثم انتقل إلى دير القديس جاورجيوس الخوزيبي في فلسطين حيث بقي إلى حين رقد في ١٩٦٠. كان راهبًا صارمًا وأبًا روحيًا. مَنَّ الله عليه بعدة فضائل. عَلِمَ مُسبقًا بموعد رحيله. في ١٩٨٠ كُشف قبره فوُجِد جسده غير متحلل. في ١٩٩٢ أعلنت الكنيسة الرومانية قداسته. له قصائد ورسائل عديدة..

(٢) Orthodox Life, Vol. 34, No. 5 (September-October 1984), pages 16-30. Translated from the Romanian by Borislav P. Svrakov.

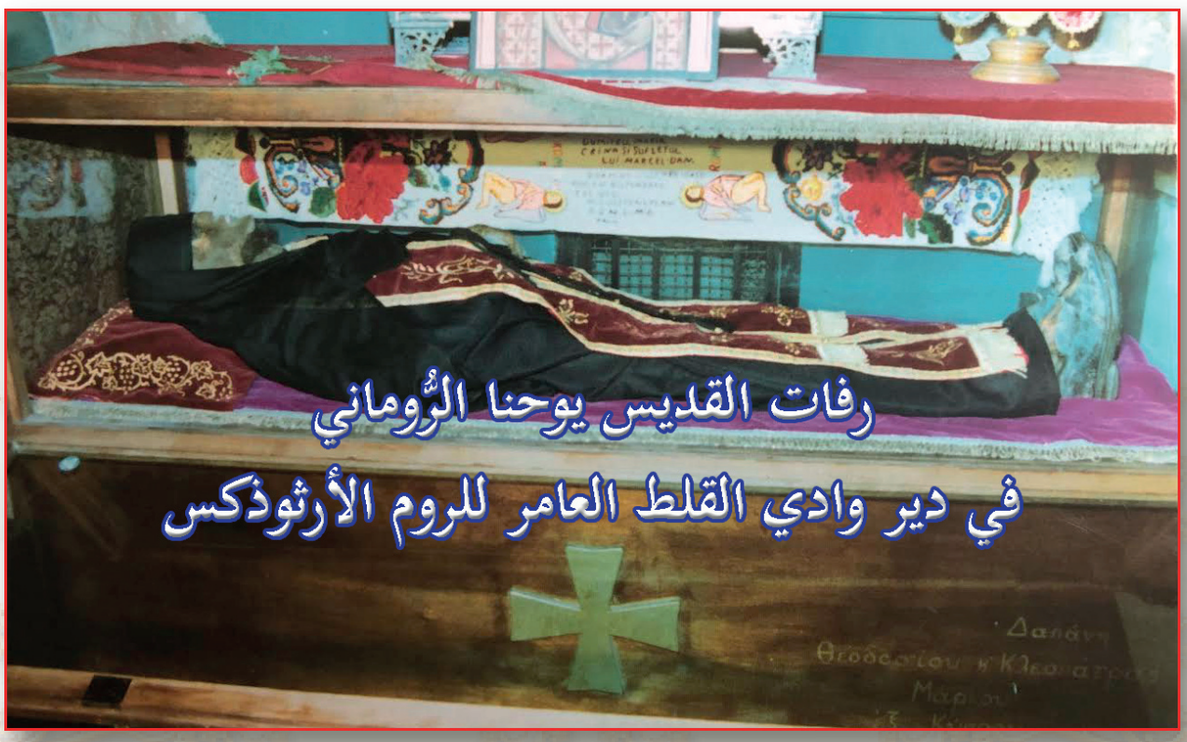

نحن في المسيح

للقديس إبيفانيوس الأسقف والشهيد

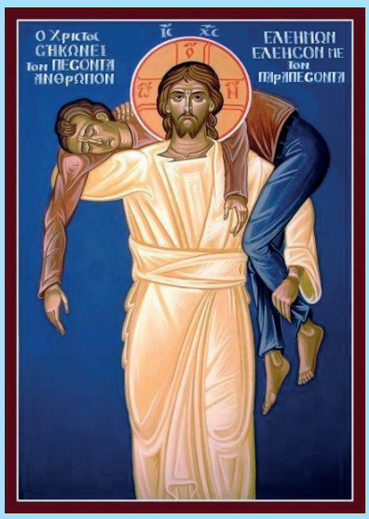

جورج ن. قزمان

لنقرأ من أعمال الرسل ٢٢: ١-١٦:

«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ وَالآبَاءُ اسْمَعُوا احْتِجَاجِي الآنَ لَدَيْكُمْ». فَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّهُ يُنَادِي لَهُمْ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ أَعْطُوا سُكُوتاً أَكْثَرَ. فَقَالَ: «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ وَلَكِنْ رَبِيتُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّباً عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ. وَكُنْتُ غَيُوراً لِلَّهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعُكُمُ الْيَوْمَ. وَاضْطَهَدْتُ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ مُقَيِّداً وَمُسَلِّماً إِلَى السُّجُونِ رِجَالاً وَنِسَاءً. كَمَا يَشْهَدُ لِي أَيْضاً رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الْمَشْيَخَةِ الَّذِينَ إِذْ أَخَذْتُ أَيْضاً مِنْهُمْ رَسَائِلَ لِلإِخْوَةِ إِلَى دِمَشْقَ ذَهَبْتُ لِآتِيَ بِالَّذِينَ هُنَاكَ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدِينَ لِكَيْ يُعَاقَبُوا. فَحَدَثَ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمُتَقَرِّبٌ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ نَحْوَ نِصْفِ النَّهَارِ بَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ. فَسَقَطْتُ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعْتُ صَوْتاً قَائِلاً لِي: شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟. فَأَجَبْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ لِي: أَنَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. والَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي. فَقُلْتُ: مَاذَا أَفْعَلُ يَا رَبُّ؟ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى دِمَشْقَ وَهُنَاكَ يُقَالُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا تَرَتَّبَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ. وَإِذْ كُنْتُ لاَ أُبْصِرُ مِنْ أَجْلِ بَهَاءِ ذَلِكَ النُّورِ اقْتَادَنِي بِيَدِي الَّذِينَ كَانُوا مَعِي فَجِئْتُ إِلَى دِمَشْقَ. «ثُمَّ إِنَّ حَنَانِيَّا رَجُلاً تَقِيّاً حَسَبَ النَّامُوسِ وَمَشْهُوداً لَهُ مِنْ جَمِيعِ الْيَهُودِ السُّكَّانِ. أَتَى إِلَيَّ وَوَقَفَ وَقَالَ لِي: أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ أَبْصِرْ! فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ نَظَرْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: إِلَهُ آبَائِنَا انْتَخَبَكَ لِتَعْلَمَ مَشِيئَتَهُ وَتُبْصِرَ الْبَارَّ وَتَسْمَعَ صَوْتاً مِنْ فَمِهِ. لأَنَّكَ سَتَكُونُ لَهُ شَاهِداً لِجَمِيعِ النَّاسِ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ. وَالآنَ لِمَاذَا تَتَوَانَى؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِياً بِاسْمِ الرَّبِّ.» والمجد لله دائمًا أبديًا آمين.

هذا النَصّ يتكرّر في سفر أعمال الرسل **ثلاث مرات**: عند ظهور الرَّب لشاول في طريقه إلى دمشق في إصحاح ١٣، ثم يتكرّر في أصحاح ٢٢، وأصحاح ٢٦. من الواضح أنه عندما يتحدث شخص عن قصته وتُحْكَى وتُسجَّل ثلاث مرات، فلابُدّ من وجود أهمية كبيرة لهذه القصة؛ لأنها قصة غير عادية.

« فَحَدَثَ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمُتَقَرِّبٌ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ نَحْوَ نِصْفِ النَّهَارِ» (**أي كانت الشمس مشرقة**). «بَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ». عندما نترجمها ترجمة حرفية ستُقرأ كالتالي: « أَبْرَقَ حَوْلِي نُورٌ حولي». نرى أنه يكرّر كلمة «حولي» **مرتين** في هذه الآية. يقول إن النُّور الذي ظهر لم يكن أمامي، لم آراه بعيني، لكنه كان حولي. وكرّر بعد ذلك حولي، مؤكدًا أنه يقصد شيئًا من هذه الكلمة. أراد أن يقول إنه كان مغمورًا في وسط النور. أنا موجود والنور يحيط حولي من كل مكان. هذا المنظر أثَّر في حياة بولس الرسول وتعاليمه على مدى رسائله كلها.

كيف نفهم وجوده مثل نقطة في وسط نور غامر يحيط به من كل ناحية؟ كلنا نعرف قصة بولس الرسول التي امتدت من أول معرفته بالمسيحية وقت رجم **القديس اسطفانوس**، وكان راضيًا بقتله، ثم أخذ خطابات من كهنة اليهود، وذهب ليضطهد بقية المسيحيين. وهناك على الطريق ظهرت له هذه الرؤية. في هذه الرؤية يقول بعدما سقط على الأرض وسط النُّور الشديد:«شَاوُلُ شَاوُلُ،! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟.» أنا لم أضطهدك. أنا أضطهد المسيحيين أتباع الطريق، ولا أضطهدك أنت. هنا بدأ **بولس** يتعلم الدرس من أول لحظة، أن اضطهاد هؤلاء الناس الذين يضطهدهم، يقع هذا الإضطهاد عليه هو. وبالتالي يوجد شيء غريب في الأمر.

من الواضح أنه (**صاحب الصوت**) موجود فيهم، أو هم (أي المسيحيون) موجودون فيه. فعندما اضطهدهم كأني اضطهده هو. وبالتالي توجد وحدة بين هؤلاء الناس والشخص الذي يكلمني. بمجرد أن أضْطَهِدُ هؤلاء الناس فأنا أضْطَهِدَهُ هو. ابتدأ بولس يدرك مفهوم «**في المسيح**». هذا المفهوم لم يأخذه عن أحد. وإنما استمده من الرؤية. نُور يحيط به من كل ناحية، وصوت يقول له أنت تضطهدني. بعد ذلك عندما عرف أن هؤلاء الناس يتناولون جسد الرب ودمه، فَهم وقتها أن المسيح فيهم، وهم صاروا أعضاءه من لحمه ومن عظامه. وبالتالي فأي اضطهاد يقع عليهم يقع عليه هو. **هذا أول درس لاهوتي جبّار يتعلمه الرسول بولس من الرَّب نفسه**. يقول له:«مَنْ أَنْتَ يَارَبُّ؟»، من أول لحظة أدرك أن الذي أمامه **هو الرَّب**، وليس شخصًا عاديًا.

ومن هنا بدأ يدرك «**سِرّ المسيح**». **ما هو سِرّ المسيح؟** عندما عرف أن الرَّب يُقيت هؤلاء بجسده ودمه، فَهِمَ لماذا يمثل هؤلاء كيانًا واحدًا مع الرَّب. الرَّب أعطاهم جسده ليأكلوه، فهؤلاء الرجال والناس فيهم جسد الرَّب ... **كل مفاعيل الصليب ، وكل ما فعله المسيح لنا، ينتقل إلينا عن طريق الإفخارستيا**. ليس الأمر أننا نتعمَّد ونصير مسيحيين، وماذا بعد هذا؟ يمكن أن نموت بعد ذلك! لابُدّ أن يصير نمو، لابُدّ أن نأكل حتى نعيش. الغذاء الوحيد للإنسان الروحي هو الإفخارستيا. عندما تدخل فينا الإفخارستيا نصير في الرَّب، متحدين بالرَّب. فأي اضطهاد يقع علينا، يقع على شخص الرَّب نفسه.

من هذه اللحظة بدأ بولس يستوعب حقيقيَّة المسيح وحقيقيَّة وجودنا فيه. وزاده الرُّوح فهمًا وإعلانًا ودراية لهذا السِرّ، حتى صار هذا السِرّ يمتلك كل كيانه، ويملأ فكره وقلبه، وَيُهَيِّمِن على كُل كتاباته، على مدى رسائله كلها. **نحن في المسيح، والمسيح فينا**. كتب القديس بولس ١٤ رسالة، وردت عبارة «**في المسيح**» في ١٣ رسالة منهم، ووردت حوالي ١٧٥ مرة. إذا قرأتم رسالة أفسس، الأصحاح الأول، تكرَّرت هذه العبارة ١٤مرة. ويكرّر عبارة «**في المسيح**» في الأصحاح الأول فقط حوالي ١٤ مرة. مما يوضح أن هذا الأمر ليس جملة عابرة. يوجد فرق بين «**في المسيح**» و«للمسيح». من أين أتى بولس بهذا المفهوم؟

هناك اتهامات تقول بأن بولس جذبنا إلى ديانة أخرى اخترعها بنفسه. لكن «**في المسيح**» لم يخترعها بولس. فهي ليست من عنده. أولًا: أحسَّها في حادثة الظهور عند أبواب دمشق. هل هناك مَن قالها غيره؟ أوَّل من قالها هو الرَّب يسوع نفسه. حتى نعرف أن هذا التعليم ليس تعليم بولس الرسول بشخصه، وإنما تعليم الرَّب يسوع. كان المسيح يتكلم مع التلاميذ، وقال لهم، عند سؤال فيلبس في يوحنا ١٤: «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا»، كلنا نعرف هذه الآية. فأجابه: «أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟» هذا مفهوم من الناحية اللاهوتية: الابن في الآب، والآب في الابن. «الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ» ابتدأ السيد المسيح يبيّن لتلاميذه أنه في الآب والآب فيه، والآب حالٌ فيه. ثم بعد ذلك يقول: «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي وَأَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ».

هذا التعليم القائل بأنَّنا **في المسيح، والمسيح فينا**، لم يبدأه بولس وإنما بدأه المسيح نفسه. ابتدأه يسوع ليس خطوة بعد الأخرى، وإنما من أعلى نقطة، أي أنه في الآب والآب فيَّ، وأنتم فيَّ وأنا فيكم. وحيث يحلّ المسيح، يحلّ الآب أيضًا. وبالتالي لم تعد الوحدة مع الرَّب يسوع فقط، وإنما وحدة مع الثالوث الأقدس. في صلاته الوداعية يقول السيِّد المسيح في يو ١٧ محدثًا الآب: «أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي.» أنا فيهم، وأنت فيّ، حتى يعلم العالم الذي أُرسلهم إليه أنه فينا.

هذا يؤكد ما أدركه بولس بأن الإضطهاد الواقع علينا، فهو واقع على ربنا يسوع شخصيًا. «أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ»، ثم يضيف «وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ». وبالتالي فإن عقيدة أنَّنا «**في المسيح**» ابتدأها الرَّب يسوع نفسه، وليس بولس الرسول. ثم كرَّرها التلاميذ الآخرين عن السيِّد المسيح وليس بولس وحده. يوحنا الحبيب يقول في رسائله: «مَنِ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ، فَاللهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللهِ. وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي للهِ فِينَا. اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ». وبالتالي فهذه نقطة أساسية في المسيحية: نحن لا نعبد **إلهًا في السماء بعيدًا عنا**. هذه النقطة غير موجودة في أي تعليم آخر. نحن نعبد إلهًا فينا، إلهًا تواضع ونزل ليقدم نفسه لنا على المذبح، فأخذناه بداخلنا، واتحدنا به في المعمودية، وأعطانا نفسه لنأكله. وأصبحنا فيه وهو فينا. هذه الفكرة من أجمل الأفكار التي لابُدّ أن نشرحها لأولادنا في مدارس الأحد. إيماني بالمسيح ليس إيمانًا بعقيدة مجردة، وأُصبح مُؤمنًا بها لمجرد الاعتقاد بها. المسيحية ليست كذلك. **عندما أؤمن باليهودية بمجرد أن أنال الختان وأحفظ الوصايا، أصبح يهوديًا. ليس مطلوبًا ما هو أكثر من هذا.** بعهد الختان أصير يهوديًا. كذلك إذا أردت أن تصير من أتباع بوذا أو كونفوشيوس أو غيرهم، كل ما يُطلب منك أن تقرأ كتبهم وتوافق على إيمانهم، وتنضم لهم بسهولة. المسيحية ليست كذلك. نحن لا نؤمن بشخصٍ بعيدٍ عنا. نحن نؤمن بشخص فينا. وهو ارتضى أن يكون فينا. هو يقول أنا في الآب والآب فيَّ، وأنتم فيَّ. وبالتالي هو فينا والآب فينا. ثم يرجع ليتحدث عن الرُّوح القُدُس:

« وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ ، والنطق الصحيح هو « المَسحة» وليس «المِسحة». «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلاَ حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هَذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِباً. كَمَا عَلَّمَتْكُمْ تَثْبُتُونَ فِيهِ.»

بذلك نحن في الآب والابن والرُّوح القُدُس. كل هذا أخذه بولس الرسول في طريقه إلى دمشق عندما شعر بأنّ نورًا يحيط به من كل جهة، **وقد صار كنقطة داخل هذا النُّور**. هذا ما كشفه الرَّب يسوع لتلاميذه لنا، وما أعلنه لتلاميذه ورسله لنا، وهذا ما أعلنه الرَّب يسوع لبولس بالرؤية العملية على طريق دمشق، ثم علَّمه إيَّاه فيما بعد ذلك في ظهوراته الكثيرة له.

هل كان المسيح يظهر لبولس الرسول، حين مكث في المنطقة المسماة بالعربية، وكيف كان يُعلّمه أو يتحدَّث معه؟ هل حدثت له رُؤى؟ أم تكلَّم علانية معه؟ نحن لم نرَ ماذا حدث، لكن من كلام بولس الرسول نفسه نراه يقول: «أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ (أي رؤيا) عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ. الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ.» (أف ٣: ٣-٤)

هنا يُصرح بولس بأنَّه قَبِل شيئًا من المسيح. **المسيح** هو مَن أعطاني هذا الشيء؟ وليس آخر هو مَن علَّمني إياها. لم أقرأها في كتب. نعم قرأ بولس **العهد القديم**، وقرأه بمفهوم جديد... كل هذا جيد. لكن بولس يقول إنَّ المسيح نفسه هو مَن أعلن له السِرّ. لماذا يسميه «سرًا» ؟ لأنّه لا يأتي بالدراسة. فليس شيئًا تدرسه لكي تصل إليه. هذا شيء يختص بالثالوث، والله نفسه هو مَن أعلنها لي، حتى لا يكون تعليمًا خاصًا بي. « أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ... الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ، تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ.» ويضيف في رسالة غلاطية: «لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». لم يتتلمذ على يد أحد، **ولم يلتحق بمدرسة كمدرسة غمالائيل** التي كنت فيه قبلًا. هذا سِرّ إلهي، هو أعلنه لي،

وبدون هذا السِرّ لا يُسمى إعلانًا.

ما هو السِّرّ الذي استُعلِن **للقديس بولس** ثم أعلنه لنا؟ يذكر بولس هذا السِّرّ عدة مرات، أولًا في أف ١: ٩، ١٠ «إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ» . **المسيح** عرفنا بسِرّ مشيئته «حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ»، حتى الآن لم يقل **ما هو السِّرّ!** فهو يقول: إن المسيح عرفنا بالسِّرّ، حسب مسرته، أي بفرحته لهذا الإعلان. ما هو السِّرّ إذن؟ «لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ» . وبالتالي أول تفسير لهذا السِّرّ أن **المسيح** «يجمع»، فكلمة «يجمع» شرحها بإسهاب القديس إيريناؤس. Recapitulation تعني «انجماع كل شيء تحت رأس واحد» . السِّرّ الذي أعلنه بولس هو: «لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ» . كلنا نجتمع في المسيح. كلنا وكل شيء. إذا سألتني ما هو كل شيء، لا أعرف. هو يقول «كل شيء». ليس أنا فقط، وليس أنت فقط، وليس كنيستنا فقط. «لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ». **المسيح** تجسّد من أجل العالم كله. وأخذ في كيانه بذرة العالم كله فيه. بحيث أي أحد يقبله، ينال الخلاص. لأننا كلنا ممثلون فيه. «لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ».

يؤكد بولس على عبارة «كُلّ شَيء» بعبارة «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ». لذلك تقول (رسالة رومية٨:٢١) «لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ». الخليقة نفسها تئن منتظرة التبني. هل الخليقة كلها؟ نعم، هل بما في ذلك الملائكة؟ لأن الملائكة لم تنل ما نلناه. لا توجد أية واحدة في العهد الجديد أو القديم تقول **إن المسيح في الملائكة**. لم تحدث. هم ليسوا فيه، وهو ليس فيهم. هم أمامه يخدمونه، ولكن ليسوا فيه. منذ بداية الخليقة، **أعطى الله الإنسان سُلطانًا**، ولم يعطِ الملائكة أي سلطان. ما هو السلطان؟ **صورته**. خلق الإنسان على صورته ومثاله، فوضع بذرته من أول يوم **في الإنسان وليس الملائكة**. فالخليقة كلها تنتظر هذه اللحظة. الخليقة كلها تئن منتظرة التبني فداء أجسادنا.

يقول بولس: « لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ». هذا أول تفسير للسِّرّ الذي تكلم عنه بولس الرسول في أف١: ٩، ١٠. في مرة أخرى في أفسس أصحاح ٣: ٣-٦ يتكلم مرة أخرى عن السِّرّ، ويقول: «أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ» . ويؤكد أن السِّرّ لم يأخذه من كُتب، ولا على يد أحد عَلَّمه إيَّاه، سواء رُسُل أو تلاميذ، يهود أو مسيحيين. بل «كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ». لم يقل بعد **ما هو السِّرّ!** «الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ». أي عندما تعرفون هذا السِّرّ، ستدركون إلى أيّ مدى فهمي للمسيح. «الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ..»، يقصد **كل العهد القديم** «لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ» . هذا السِّرّ **لم يُعلن في العهد القديم**. أقصى شيء **في العهد القديم** حسب قول المسيح هو: «تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلاً وَاحِداً وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْناً لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفاً!» (مت ٢٣: ١٥).

السِّرّ لم يُعلن **في العهد القديم**، وأقصى شيء في العهد القديم هو أن يضموا واحدًا إلى اليهودية. هذا أقصى ما يملكونه. «الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ.» (أف٣:٥). ما هو السِّرّ؟ «أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ.» (أف ٣: ٦). الأمم هم شركاء في الميراث... ليس الميراث الأرضي. ظنّ اليهود أن الميراث هو أرض الميعاد أو الهيكل. ليس هذا ميراثنا بل «وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ». ميراثنا **إلهي** وليس سمائيًا فقط. «أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ». **ما المقصود بالجسد؟** جسد الرَّب يسوع. لأنهم أعضاء في الجسد. مثلما المسيح فيَّ، إن كنا كيهود، هو في الأمم أيضًا. «شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ» كل هذا «فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ» أي الكرازة. هذه هي المرة الثانية التي تحدث فيها بولس الرسول عن السِّرّ الذي أُعلن له.

في المرة الثالثة يتحدث ثانية عن السِّرّ: «السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ وَمُنْذُ الأَجْيَالِ» (كولوسي ١: ٢٦، ٢٧). نفس الفكرة، سِرّ إلهي، لم يكن معروفًا قبلًا في **العهد القديم**، «لَكِنَّهُ الآنَ قَدْ اظْهِرَ لِقِدِّيسِيهِ، الَّذِينَ ارَادَ اللهُ انْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هَذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ» (كولوسي١: ٢٦) كلمات قليلة. لكنها ليست بالعقل. هذا شخص لا يقدر أن يقولها من نفسه، بل قد جاءته من السماء. **بولس الرسول** لم يأخذنا خارج المسيحية، ولم يؤلف مسيحية جديدة، وإنما **أخذ من المسيح وأعطانا**، لأنه لم يكن ليقدر أن يقول هذا الكلام من نفسه. هذا السِّرّ العظيم المجيد والكثير الغنى الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد.

هذه القصة كلها بدأت مع بولس وهو في طريقه إلى دمشق. عندما وجد نفسه مُحاطًا بالنُّور من كل ناحية، فَهِمَ معنى كيف نكون «**في المسيح**». من الواضح أن بولس عندما أَحاط به النُّور من كل ناحية، أدرَكَ معنى أن يكون داخل النُّور الإلهي، وعندها فهم عبارة «لماذا تضطهدني؟» **فأي كرامة وأي هوان يقع علينا**، هو في الحقيقيّة يقع على المسيح شخصيًا، وهذا ما عبّر عنه بولس في رسالة أفسس حين قال: «لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ. مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. هَذَا

السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ».

السؤال هنا: عندما أتناول، بمَن أتحد؟ بالسيد المسيح. هل هو فقط؟ لا، بل نتحد كلنا معًا. «**اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك، طهارةً لأنفسنا وأجسادنا لكي نكون جسدًا واحدًا.**» (الكنيسة تعلّمنا أننا بالتناول نصير جسدًا واحدًا في الكنيسة).

هذه هي روعة الكنيسة المسيحية. هنا تكمن روعة سِرّ الإفخارستيا في الكنيسة. كلنا نصير جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا؛ لأننا كلنا نأكل من الخبز الواحد. «لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ» ثم يطبقها على الزوج والزوجة: «مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الِاثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ» أي **اتحادنا الكامل مع المسيح**.

لقد طَبَقَّ بولس الرسول مفهوم «في المسيح» على كل شيء .. حتى على المعنى الأخلاقي. « أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هَذَا حَقٌّ.» (أف ٦: ١) الآية تقول أطيعوا والديكم **(في الربّ)**، وليس **من أجل الرب**. بعض الناس تقول هذا يعني أن أطيع والديّ عندما يأمرونني بشيء يوافق الإنجيل وكلام الرَّب، أطيعهم في هذه الحالة. لكن إذا أمروني بشيء ضد الإيمان لا أطيعهم. أليس هذا المعنى الشائع؟ المعنى المقصود غير ذلك، وإن كان هذا صحيحًا أيضًا. لها معنى آخر أجمل. أطيعوا والديكم في الرَّب؛ لأنهم أعضاء في الرَّب، وأنتم أعضاء في الرَّب. هنا الطاعة «**في الرَّب**» وليس فقط «**من أجل الرَّب**» أو «**إرضاء» للرَّب**، أو «**خوفًا» من الرَّب**.

فما معنى أن يطيع الأولاد والديهم في الرَّب؟ معناها أن يطيعوهم بصفتهم هم ووالديهم أعضاء في جسد الرَّب الواحد. فكما تخضع الأعضاء بعضها لبعض في تناسق كامل من أجل خير الجسد كله، هكذا ينبغي أن يخضع الأبناء لوالديهم. هذا تربُطنا على الفور آية أخرى هي: «أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا يَلِيقُ فِي الرَّبِّ.» إذن ليس خضوع المرأة للرجل في الرَّب **هو نوع من التدني**. يجب أن تخضع له «**في الرَّب**» وليس من «**أجل الرب**». هي وزوجها أعضاء في جسد الرَّب. هل يوجد في جسم الإنسان عضو يتكبّر على عضو آخر؟ كل أعضاء الجسم نحتاجها. نفس الشيء في الأسرة التي أصبحت خلية، كل أعضائها في الرَّب. خضوع المرأة في الرَّب هو خضوع الجسد الواحد لبعضه البعض. حتى في حديث بولس عن الخطايا ينظر إليها من نفس المنظور الأخلاقي. « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَآخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا!» (١ كو ٦: ١٥). أصبحنا كلنا جسدًا واحدًا. لم يَعُد داخل الجسد عضو يكره الآخر، أو عضو يمكن أن يسيء إلى آخر؛ لأننا جسد واحد.

وبالتالي حتى **مفهوم الزنا في الكنيسة الأولى** ليس مرفوضًا فقط لكنه كان مكروهًا جدًا بطريقة شنيعة. لا يمكن استيعاب فكرة أن يسيء عضو لعضو آخر؛ **لأن الاثنين متحدين في جسد واحد**. تلاحظون القديس بولس في رسالة رومية في الأصحاح الأخير.

يبدأ بولس في رو ١٦ يقول: «سَلِّمُوا عَلَى بِرِيسْكِلَّا وَأَكِيلاَ الْعَامِلَيْنِ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». لاحظوا طريقته! عاملان معه في المسيح يسوع. وبعدها يقول سلموا على فلان وفلان: « وَقَدْ كَانَا فِي الْمَسِيحِ قَبْلِي»، «ثم سَلِّمُوا عَلَى أَمْبِلِيَاسَ حَبِيبِي فِي الرَّبِّ. سَلِّمُوا عَلَى أُورْبَانُوسَ الْعَامِلِ مَعَنَا فِي الْمَسِيحِ». الأصحاح كله تحيات، وكل اسم بعده مباشرة يقول «في الرَّب» أو «في المسيح». وهنا لا يُسلِّم (أي يعطي تحية) بل يسلِّم مفهوم «**في الرَّب» للكنيسة**. مفهوم شركتنا في الرَّب، وكل واحد فينا هو عضو في الرَّب؛ فقد أصبحنا جميعًا جسدًا واحدًا.

أَخْتِم كلمتي بقولين من أقوال الآباء حتى نفهم مفهوم «**في الرَّب**» **عند آباء الكنيسة**:

أولًا: القديس كيرلُّس الكبير:

كيف ينبغي أن نفهم القول القائل: «يَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا» (يو ١٧: ٢١). هذه آية يذكرها **القديس كيرلُّس** وسيفسرها كالآتي: « لمَّا أراد كلمة الله أن يقدم لجنس البشر عطية عُظمى وفائقة للطبيعة، أخذ يجتذب الجميع إلى نوع من الاتحاد بنفسه. فقد لبس الجسد البشري وبذلك صار داخلنا. ومن جهة أخرى فهو له الآب في ذاته لكونه كلمته الخاص وشعاعه. فكأنه يقول: كما أني أنا فيهم بسبب لبسي نفس الجسد الذي لهم، وأنت أيها الآب فيَّ بسبب كوني من جوهرك الخاص. هكذا أريد أنهم هم أيضًا يرتبطون بنوع من الاتحاد حتى يصيروا متداخلين بعضهم في بعض، وكأنهم صاروا جسدًا واحدًا. فيكونون جميعًا فيَّ وكأني أحملهم جميعًا في هيكل جسدي الواحد الذي اتخذته لنفسي. وهكذا يكونون ويظهرون مُكمَّلين؛ لأني أنا الكامل وقد صرت إنسانًا.»

يشرح **القديس كيرلُّس** على لسان السيد المسيح وكأنه يخاطب الآب، فيقول له: **أريد أن أعطيهم عطية عظيمة، فهل سأعطيهم أراضٍ أو أموالًا؟ هذه ليست عطية. كل ما يَجري وراء المادة يجري وراء العدم. لن أُعطي عطايا أرضيّة. هذه كلها تُزاد لهم وتأتي «فوق البيعة»**.عبارة «**لبس الجسد البشري من العذراء وصار داخلنا**» تذكرنا (بآية يوحنا ١: ١٤): «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ فِينَا». باللغة اليونانية «**حل فينا**» (**وليس بيننا**).

يؤكد **القديس كيرلُّس** على أنَّ الكلمة «لبس الجسد البشري من العذراء وبذلك صار داخلنا. ومن جهة أخرى له الأب في ذاته.» وعبارة «متداخلين بعضهم في بعض» تذكرنا بما قلناه عن الإفخارستيا. عندما نتناول نصير كلنا جسدًا واحدًا. يفسرها **القديس كيرلُّس** قائلًا: «هكذا أريد أنهم هم أيضًا يرتبطون بنوع من الاتحاد حتى يصيروا متداخلين بعضهم في بعض، وكأنهم صاروا جسدًا واحدًا». وهذا ما نقوله في القداس: «لكي نصير جسدًا واحدًا.»

ثانيًا: القديس يوحنا الذهبي الفم:

عن نفس الموضوع: مفهوم الجسد الواحد. **يقول الذهبي الفم**: «الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟» (١ كو ١٠:

١٦). بعد أن قال **شركة جسد**، أراد أن يُبيّن ما هو أوثق (أفضل). لذلك أردف: « فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ.» ، وكأنه يقول: « لماذا أتكلم بعد عن شركة الجسد بينما نحن ذلك الجسد بعينه...» أليس نحن من لحمه ومن عظامه؟ ألسنا متحدين به؟ .

القديس يوحنا الذهبيّ الفم تَشَرَّب تعاليم بولس الرسول إلى النخاع، كان بولس بالنسبة له كل شيء، فإنك تستشعر أنَّ كلامه الذي يقوله هو كلام بولس الرسول؛ لأن كُل كلامه مُطَعَّم بفكر القديس بولس. يُكمّل **الذهبي الفم**: «بينما نحن ذلك الجسد بعينه؛ لأنه ما هو الخبز؟ جسد المسيح. وماذا يصير المتناولون؟ جسد المسيح. فليس هناك أجساد عديدة بعد، بل جسد واحد. فكما أن الخبز يصير واحدًا من حبات كثيرة مجتمعة حتى أن الحبات لا تكون ظاهرة مع أنها موجودة لأن الفرق بينها ليس واضحًا بسبب الاتحاد، هكذا نحن أيضًا نتحد بعضنا مع بعض ومع المسيح؛ لأنك لا تأكل أنت من جسد، وغيرك من جسد آخر. بل الجميع يأكلون من الواحد بعينه. لذلك أضاف: «لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ.» فإن كنا جميعًا نشترك في الواحد، بل ونصير هذا الواحد عينه، فلماذا لا نظهر أيضًا المحبة الواحدة. فنصير بذلك أيضًا واحدًا.»

كأنَّ الذهبي الفم يقول: هل يُعقل بعد أن نأكل الجسد الواحد، ونصير نحن هذا الواحد، ونتحد معًا، فلا توجد المحبة بيننا بعد ذلك؟! هذا مستحيل. في هذا استحالة. من المعروف أن المسيحيين يحبون بعضهم البعض. لماذا؟ هل هي ناحية عاطفية؟ ما سبب هذه المحبة؟ هذا هو سببها: الجسد الواحد الذي نشترك فيه نصير واحدًا. نصير هذا الجسد عينه. هل بعد هذا كله، يتعجب القديس يوحنا الذهبي الفم: «فلماذا لا نُظهر أيضًا المحبة الواحدة فنصير بذلك أيضًا واحدًا.» لأنه هكذا كان قديمًا في زمن **آبائنا الأوائل**، إذ يقول: «وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ» (أع ٤: ٣٢).

يدلّل **الذهبي الفم من الكنيسة الأولى** على أن المؤمنين كان لهم قلب واحد ونفس واحدة، لأنهم كانوا يشتركون الخبز الواحد. هذا باختصار مفهوم القديس بولس الرسول لمفهوم أننا جميعًا «في المسيح». هذا المفهوم الذي أخذه من رؤية في طريقه إلى دمشق عندما أحاط به النُّور، فَفَهِمَ سِرّ المسيح. وسرّ المسيح أُعلن له ولم يتعلمه من أحد. المسيح أعلن له سر المسيح، وهذا السِرّ هو «ليجمع كل شيء في المسيح». كلنا أصبحنا في المسيح بأقوى وسيلة تجمعنا في المسيح وهي **سِرّ الإفخارستيا**. والمجد لله دائمًا.

سؤال يقول: كيف نطبق مفهوم «في المسيح» في حياتنا؟

الإجابة: الآية تقول: «إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ» . ما معنى إن عشنا فللرّب نعيش؟ لا نعيش لأنفسنا بل للرَّب، وكل ما أفعله أفعله وأنا **في المسيح**. آكل **في المسيح**، وأشرب **في المسيح**، أتكلم وأنا **في المسيح**، أتعامل مع إخوتي وأنا **في المسيح**، خاصةً عندما أتعامل في الخدمة مع الآخرين. أنظر أنني لست وحدي **في المسيح** بل هم أيضًا. حتى تعيش هذا المفهوم، لا تطبقه على نفسك فقط. طبقه على كل مَن أمامك. مثلما أنت **في المسيح**، هكذا أخوك أو أختك هما أيضًا **في المسيح**. وبالتالي تنظر لهم بإنهم متَّحدون بك. هم جسدك، وهم أعضاء **في المسيح** في نفس الوقت. إذا تملك على فكرنا هذا المفهوم، سيحل كثيرًا جدًا جدًا من المشاكل الحادثة بداخل كنائسنا.

« إنَّ الغَنيّ عبدُ مُعرَّضُ للخسارة، يعطي فرصة لكل من يودُّ أن يُلحق به الأذى، أما الذين لا يملكون شيئًا، فلا يخشون مُصادرة أملاكهم أو تغريمهم. فإذا كان الفقر يجعل المرء شجاعًا، فالمسيح أرسل تلاميذه فقراء، وطالبهم بأن يكونوا شُجعانًا بَواسِل. الفقراء أشدَّاء، وليس ثمّة ما يُسيء إليهم، أمّا الغَنيّ فيمكن السَّيطرة عليه من كل جهة.

سَهلُ الإمساك بمن يَجرُّ وراءه حِبالًا كثيرة، أما الإمساك بالعاري فصعب. هكذا يحدث للغَنيّ: خَدَمْ، ذَهَبْ، حُقُولْ، وآلاف من الاهتمامات والضرورات تسيطر عليه بسهولة»

القديس يوحنا الذهبيّ الفم

« في السوق حرب، وفي الحاجات اليومية عراك، يشبه هياج البحر عندما تهب العاصفة.

نحن بحاجة إلى سلاح، والصلاة هي أعظم سلاح. نحن بحاجة إلى رياح مواتية.

علينا أن نتعلم كل شيء، لكي نعبر نهارنا فلا تنكسر بنا السفينة، ولا نُجرح.

كثيرة هي صخور كل يوم، وكثيرًا ما تصطدم بها سفينتنا وتغرق. لذا نحن في أمس الحاجة إلى الصلاة ليل نهار»

القديس يوحنا الذهبيّ الفم

خدمة المرضى والفقراء

للقديس غريغوريوس النَّزينزي

أنتم فقراء مثلي، أيها الأخوة، فنحن جميعنا متسوِّلون محتاجون إلى نعمة الله، وإن ظَنَّ واحدٌ أو آخر أنه فوق الآخرين، قادرًا الأمور على مقياسه الصغير ... فاستقبلوا هذا الخطاب **على الفقراء**، بصدرٍ رحب وقلبٍ كريم. لكي تغتنوا بغنى ملكوت السماء. وَصَلُّوا معي حتى أُوَزِّع عليكم هذه الكلمة بسعة، فأُغذِّي نفوسكم، وأَكْسِر للجياع هذا الخبز الروحي، إمَّا بإمطاره من السماء، وإعطائكم إياه كما صنع **موسى** من قبل (خبز الملائكة) وإمَّا أن أُغذِّي ببعض الخبزات ملايين من البشر في برية هذا العالم حتى يَحيوا، كما صنع **يسوع**، الخبز الحقيقي وصانع الحياة الحقيقية.

أولى الفضائل المحبة

أي فضيلة بين الفضائل تفوق الآخر؟ ليس من السهل وجودها وإعطاؤها حَقّ الصدارة وشارات النصر، إنَّ مَرجًا مُغطًّى بمختلف الزهر العطر، لا يسهل تمييز أجمل أزهاره وأذكاها. فكلٌ منها تُنافس الأخرى وتغري الشَّم والنَّظَر بِعطرِها ولونها لتحملك على قطفها قبل سواها. وأرى أنه لابُدّ من التفكير قبل الحُكم.

جميلة هي **فضائل الإيمان والرجاء والمحبة**. فيشهد **للإيمان إبراهيم**، لأنه تبرَّر **بالإيمان**، **وللرجاء أخنوخ**، فهو أوَّل من تَرجَّى أن يدعو بإسم الرَّب. أمَّا **المحبة** فيشهد لها **الرسول الإلهي** الذي لا يتردّد في أن يحرم نفسه من أجل شعبه. ويشهد للمحبة الله نفسه، واسمه المحبة «**الله محبة**».

جميلة هي **فضيلة الضيافة** وشاهدها **لوط في صدوم**، إذ لم يكن على أخلاق سُكَّانها، **وراحاب** التي لم تتصرف **كبغي** بل مُدِحَت وخَلُصَت بسبب الضيافة؛ جميلة هي **المودة الأخوية**، وشاهدها **يسوع** وقد ارتضى لا أن يُدعى أخانا فحسب، بل أن يتأ لم من أجلنا؛ جميل هو **الحِلْم**، والشاهد على ذلك **المسيح نفسه** فإنه لم يكتفِ بألَّا يطلب فرقة من الملائك لصدِّ **مُهاجميه**، ولا بأنه **وَبَّخ بطرس** لشهره سيفه، بل شفى أذن الذي ضربه بطرس. وسيفعل مثل هذا من بعده **إسطفانوس** تلميذه، إذ صلى من أجل من كانوا يرجمونه.

جميلة هي **الوداعة**، يشهد لجمالها **موسى وداود** اللذان يثني عليهما الكتاب أكثر من سواهما، ويشهد لها **معلمها** الذي لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يُسمع صوته في السَّاحات، ولا يقاوم من يقودونه إلى التعذيب. شيء جميل **الغيرة**، يشهد لها **فنحاس** الذي فتك بسيفه بالمِدْيَنِيّة والإسرائيلية ، ليرفع العار عن إسرائيل، وجعل له بذلك إسمًا. وشهد لها من بعده من قالوا: «غِرْتُ لِلرَّبِّ»، «غِرْتُ عَلَيْكَ غَيْرَةً لِلرَّبِّ»، «غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي» . وليست هذه التعابير أقوالًا بل هي عواطف صحيحة.

﴿**ملحوظة: يقصد القديس غريغوريوس** بالمِدْيَنِيّة «**المديانيين**» (**انظر عد٣١:٦**) ، والإسرائيلية (**وأرسل فنحاس كذلك مع الرؤساء العشرة لمراجعة الأسباط التي في شرقي الأردن في أمر المذبح الذي بنوه والذي أخطأ العبرانيون في اعتبار أنَّ الغاية من بنيانه الانفصال عنهم في العبادة**) (**يش ٢٢ : ١٣**) – **جمعية نور المسيح**﴾

جميلة هي **الإماتة الجسدية**، يثبت لك ذلك **بولس الرسول** الذي كان يمارسها دائمًا وكان يخاف على من كانوا يعتمدون على نفوسهم، ويخضعون للشهوات البدنية، فليقنعك بذلك **يسوع** الذي جاع وجُرِب وانتصر **على المُجرب**.

جميلان هما **الصلاة والسهر**، يقنعك بذلك الإله الذي سهر وصَلَّى، قبل آلامه. جميلتان هما **الطهارة والبتولية**، يؤكِّد لك ذلك **بولس** الذي بيَّن فضل الزواج والبتولية؛ **ويسوع الذي وُلِد من عذراء لكي يُشرِّف الولادة ويجعل البتولية فوقها قدرًا**. جميلة هي **القناعة**؛ يقنعك بذلك **داود**، إذ أبى أن يمس الماء، محمولًا إليه من بئر بيت لحم، وقدَّمَه ذبيحة، ولم يشأ أن يروي عطشه بتعريض أحد للخطر.

جميلة **الوحدة والحياة الهادئة**، لقد علمني ذلك كَرْمِلْ **إيليا**، وبرية **يوحنا المعمدان**، وجبل **يسوع**، حيث نراه ينفرد غالبًا وينعزل في السكون. جميلة هي **البساطة**، فقد علمني إياها **إيليا** بإستراحته عند الأرملة، **ويوحنا المعمدان** بلبسه ثوبًا من وبر الجمال ... جميلة هي **فضيلة التواضع**، والأمثال عليها كثيرة، تَرِد من جهات مختلفة، من جهة **المخلص ومعلم الجميع**: **فإنه لم يَكْفِهِ أن يتواضع فيأخذ صورة عبد، وأن يُعَرِّض وجهه لإهانة البصاق، ويُوضع في مصاف المجرمين، هو الذي كان يُطهِّر العالم من الخطيئة، بل وقف موقف العبد وغسل أقدام تلاميذه.**

أمور جميلة هي **بذل المال واحتقار الغنى**، يشهد على ذلك **زكا العشار والمسيح نفسه**؛ فقد أعطى زكا معظم ماله **لمرور المسيح بداره**، والمسيح بيَّن **للشاب الغني أنَّ الكمال في التخلي عن المال**، وخلاصة القول عن هذا كله أن التأمل شيء جميل والعمل شيء جميل؛ أحدهما يرفعنا عن هذه الدنيا ويحملنا إلى قدس الأقداس، والآخر يستقبل المسيح، ويخدمه، ويبرهن له عن حبه بالأفعال.

كلٌّ **من هذه الفضائل طريق خلاص**، يوصل إلى إحدى المنازل الأبدية السعيدة؛ وكما أنَّ هنا على الأرض حالات مختلفة من الحيوات، فعند الله منازل كثيرات تنقسم وتتجزأ بحسب الإستحقاق. فهذا يمارس فضيلة، وذاك يمارس أخرى، وآخر يمارس فضائل كثيرة، وغيره يمارسها جميعها، لو استطاع. ولكن فليتقدم ! فليرغب في التقدم ! فليتبع آثار من يسير أمامنا ويرشدنا، ومن يسلك بنا في الطريق الضيق، ويدخلنا في الباب الحرج، ويبلغ بنا إلى سعة السعادة السماوية.

فإذا تأملنا فيما علَّمه بولس والمسيح نفسه، رأينا أن أول الوصايا وأعظمها، وخلاصة الشريعة والأنبياء: **المحبة**، فَأَسْتَخْلِصُ من ذلك أن **جوهر المحبة هو حب الفقراء**، والشفقة والعطف على إخوتنا في البشرية. ولاريب في أنه ليس بين الفضائل جميعها فضيلة تُكرِّم الله مثل الرحمة، ولا أقرب إلى الله منها: **الحقّ والرحمة** يسيران أمامه، فيجب تقديم الرحمة على الدينونة، ولا فضيلة كالإحسان جديرة بإحسان من يكافئ بالعدل، ويتخذ **الرحمة** عيارًا وميزانًا.

بؤس الفقراء ولا سيما البُرص

ينبغي أن نفتح قلبنا لجميع الفقراء، ولجميع المعذَّبين من أية علة كانت، وفقًا للوصية التي تأمرنا أن نفرح مع الفرحين ونبكي مع الباكين. ولما كُنا بشرًا وجب علينا أن نؤدي لسائر البشر نصيبهم من طيبتنا. **مهما كانت تعاستهم: الترمل، اليتم، النفي، قسوة الأسياد، تشدّد محصلي الضرائب، غارات قطّاع الطرق، جشع اللصوص، وغرق السفن**، هؤلاء جميعهم حَرِيُّون بالشفقة، **تحدِّق عيونهم في أيدينا** كما نُحدِّق نحن **في يدي الله**، متى كُنَّا في حاجة إلى شيء. ومن افتقروا بعد غنى فهم بين البائسين أحق بالعطف ممن تعودوا البؤس. وأحقّ البؤساء خاصة بشفقتنا هم المصابون **بداء الجذام**، وقد **قرض المرض لحومهم حتى العظام**.

إن أمامنا مشهدًا مُرعبًا حقيقًا بالرأفة، لا يصدِّق من لم يرَه فظاعته: هناك بشر قد أمسوا جثثًا وهم أحياء، مُشوَّهون في مواضع كثيرة من جسومهم، حتى ليجهلهم من كان يعرفهم من قبل. يُعرِّفون بأنفسهم بذكر والدهم، أو والدتهم، أو أخيهم، أو بذكر موطنهم؛ فيقولون لنا: « أنا ابن فلان أمي فلانة، اسمي كذا؛ كنتَ قبلًا صديقي وزميلي ...»

تلك لغتهم، لا يمكن أن تعرفهم بما كان لهم قبلًا من الملامح، **رعاهم الداء، ذهب مالهم، وفقدوا أهلهم وأصحابهم وجسمهم نفسه**. هم وحدهم يحنون على ذواتهم ويكرهونها، ولا يدرون هل ينبغي أن يتحسَّروا على ما فقدوا من جسومهم، أو على ما بقي منها، وعلى ما قرض المرض، أم على ما سيقرضه؟ جزء ذهب قبل الدفن، والجزء الآخر لن يجد من يدفنه.

حتى **أفضل الناس وأكثرهم محبة، لا شعور عندهم نحوهم**. ننسى أمامهم أننا لحم وأننا نلبس جسدًا بائسًا، وأننا أبعد من أن نعنى بهؤلاء البشر الذين من جنسنا، وقد يظهر لنا أن الهرب منهم أضمن لوقاية جسدنا. فكثيرون منا يقتربون عند الحاجة من جثة نتنة، **وكثيرون صُبرون على نتن جثث البهائم**، أو أن يغوصوا في الأوحال، **أمَّا البرص** فإنا نتهرَّب منهم جهدنا، **يا للقساوة – ونأنف أن نتنسم الهواء الذي يتنسمونه**.

مَنْ أكرم من والد على ولد ؟ ومن أحنّ من أم ؟ أمَّا الأبرص فالطبع يُنفر منه. فالوالد وإن تحسَّر على وَلَدِهِ الذي ولده ورباه، وَعَدَّهُ محل عينه ورفع من أجله **لله** كثيرًا من الدعوات، **والده هذا يطرده**، بإختياره وعلى رغمه. والأم تتذكر ما تحملت من الألم من أجل ولدها، وتكلمه وقلبها يتمزق، بلهجة مؤلمة. تراه أمامها وتبكيه كأنه قد مات، تقول: «**يا لك ولدًا تَعِسًا لوالدة تعسة، نازعني إياك المرض فنزعك مني، يا لك من ولد يُرثى له، ولد لا أعرفه، وكأني ما ربَّيتك إلَّا للمهاوي وللجبال والقفار! ستعيش مع الحيوانات البرية، لاجئًا إلى الكهوف وشقوق الصخور، ولن يراك غير أفراد قلائل من أتقياء البشر!**»

تقول هذا وتذرف الدمع الغزير، تود أن تُقَبِّل ولدها **ولكن هذه الأم الشفيّة تخشى لحم ابنها خشية العدو** ... يرضى الإنسان أن يعيش مع قاتل، ويستقبل في بيته زانيًا، ويُجلسه إلى مائدته ويشاركه في نفاقه، ويصادق من صنع إليه شرًّا؛ ولكنه يهرب ممن لم يسئ إليه، لمرضه كأن مرضه جريمة. **فالرذيلة في رتبة أفضل من المرض**.

يمنع الناس البرص عن المدن، وعن المنازل، والساحات العامة، وعن الطرقات، والأعياد والولائم، ويمنعونهم – يا للبؤس – من الماء فلا تجري لهم العيون كما تجري للآخرين. وأغرب من ذلك أننا، ونحن نطاردهم، لنجاستهم، نستردَّهم نحونا، لأننا لا نقدِّم لهم مسكنًا، ولا مطعمًا واجبًا، ولا عناية بجراحهم، ولا ملبسًا يستر على الأقل سقمهم. فنراهم، ليل نهار، مشرَّدين، محتاجين، عراة، بلا مأوى، يشيرون إلى قروحهم، ويذكرون حالهم الماضية، مستجيرين بالله، مستعينين برفاقهم، بدل ما فقدوا من أعضائهم. فمن لا يحس بقلبه يتقطَّع لشكاتهم ؟ وأي أُذن تقوى على سماع نواحهم ؟

على حين أن طبيعتهم طبيعتنا، وقد تكوَّنوا من التراب الذي تكوَّنا منه ولهم عضلات وعظام مثلنا، وقد كُسوا جلدًا ولحمًا كجلدنا ولحمنا، كما يقول **أيوب**. وخُلِقوا على صورة الله، ولعلهم يحتفظون بها خيرًا منا، بالرغم من تفسُّخ جسومهم، وهم يلبسون المسيح بحسب الإنسان الباطن نظيرنا، ولهم حقّ في الشرائع نفسها، وفي كلام الله، **وفي العهدين القديم والجديد**، وفي الإجتماعات الطقسية نفسها، وبالأسرار وبالرجاء مثلنا، **ومن أجلهم مات المسيح حامل خطايا العالم**، وهم شركاء في ميراث الحياة الأبدية، وإن حُرموا حقّ الإرث في الحياة الأرضية. **دُفنوا مع المسيح وقاموا معه، وإن كانوا يتألمون مع المسيح فسوف يتمجدون معه**.

فما عسى أن نفعل، نحن الذين ساهمنا في الإسم العظيم، الإسم الجديد، الإسم الذي نلناه بالمسيح. نحن **الذُرِّية المقدسة، الكهنوت الملكي، الشعب المُبَرَّر المختار، الغيور على الأعمال الصالحة الخلاصية**؛ نحن تلاميذ المسيح الوديع الطيب، المسيح الذي حمل أمراضنا، وتواضع حتى طبيعتنا، ولبس فقر بشريتنا، هذه الخيمة الأرضية، واحتمل لأجلنا الآلام والأسقام لكي يُغنينا بلاهوته، ما عسى

أن نصنع أمام هذا المثال مثال الرحمة والشفقة؟ ما عسى أن تكون أفكارنا وموقفنا إزاء هؤلاء المرضى؟ فهل نحتقرهم؟ هل نهرب منهم؟ هل نتركهم كالجثث والأشياء الشائنة وأخبث الحيات وأضرى الحيوانات؟ لا، يا أخوتي! ليس هذا ما يليق بنا، نحن نعاج المسيح، الراعي الصالح الذي يُعيد الخروف الضال إلى الحظيرة، ويبحث عن النعجة المفقودة، ويقوّي الضعيفة؛ وليس هذا ما يليق **بالطبيعة الإنسانية** التي جعلت الرحمة شريعة، لأن البؤس المسيطر على الجميع علّمها الحنان والرحمة.

ذم البذخ الفاحش عند بعض أغنياء كبدوكية

أيقيم هؤلاء البؤساء في العراء، في حين نقيم نحن في دور فخمة، مزدانة بمختلف الحجارة، زاهية بالذهب والفضة، والفسيفساء، والنقوش المختلفة ؟! **هي مصايد خَدَّاعة للعيون!** وبينما نملك كل هذا، ألَا نبني سواها ؟ ولمن ؟ قد لا تكون لورّاثنا، بل للغرباء، لقوم ليسوا منا، ولا يحبوننا، بل يكرهوننا ويحسدوننا ... أيرتجفون بردًا في أطمارهم البالية، وقد لا تكون لهم الأطمار الضرورية، على حين نرفل نحن في الثياب الناعمة الفضفاضة من الحرير والكتان؟ ونظهر بها بمظهر شائن (**هو الزائد المتجاوز الحدّ**) وعلى حين نحتفظ بغيرها من الملابس الزائدة، **طُعمًا للعث وللزمان الذي يُبلي كل شيء**. أيحتاجون إلى أقل ما يمكن من الغذاء ؟ – **يا للبذخ الذي أعيش فيه، ويا لشقاء هؤلاء البشر المساكين** ! – أيظلون منطرحين على أبوابنا، منهوكين ومتألمين من الجوع، ولا وسيلة طبيعية عندهم للسؤال، لقد فقد بعضهم الصوت وعجزوا عن الأنين، أو فقدوا يدهم ليبسطوها للإستعطاف، وغيرهم لا يقدرون على البكاء، وشرّ ما نزل بهم أخف عندهم من سواه، فقد رضوا بفقد عيونهم حتى لا يبصروا ما هم فيه من الخراب.

وبينما هم على هذه الحال، نرانا نتمتع بالولائم ونستريح على فُرش ناعمة معلّاة؛ وموائدنا أرضها مفروشة بعاطر الأزهار، وجوّها عابق بالطيب الذكيّ، لنزداد رخاء ورخاوة، ولابُدّ لنا من غلمان، حول الضيوف، يقفون صفًّا منظمًا، مسترسلي الشعور مُخنَّثين، محفوفي الوجوه، ومزينين كالدمى، **ليروقوا في العيون الفاجرة**. وهناك غلمان آخرون يقدمون الأكواب بأطراف أناملهم كما تقتضي اللباقة والرشاقة. وغيرهم يروّحون على الضيوف بالمراوح ليطرّوا تلك الكُتل من اللحم. وعلى الماء والهواء والتراب وجميع العناصر أن تعاون على إمتاعها. وعلى رؤساء الطباخين ومعاونيهم أن يأتوا من المهارة بما يتجاوز الحدود في إعداد ما يُغري نهم بطونها، **وإشباع هذا الحيوان الذي يعجّل نهمه في هلاكه. وبينما لا يجد أولئك البؤساء ما يروي عطشهم من الماء القراح، نرانا غارقين في الخمور**. ولابُدّ أن نكون، أو أن يُقال عنا إننا متأنقون ومسرفون، كأننا نخجل ألَّا نُعَدّ من الفاسقين وعُبَّاد البطون.

واجبنا نحو الفقراء

لماذا لا نُساعد، ونحن أحياء، مَنْ هُمْ بشرٌ مثلنا ؟ لماذا ونحن لحم لا نسخو على بؤس اللحم ؟ **لماذا نغرق في اللذات وسط إخوة بؤساء ؟** ليتني أكون مُعدمًا، مادام حولي مُعدمون، ليتني أُغطَّى بالجراح إن لم أضمِّد جراحهم، وأُحرَم الطعام، واللباس، ولا آوي إلى بيت، إن لم أقدم لهم الغذاء، وأوزِّع عليهم الملابس، ما استطعت، وآويهم تحت سقفي ! إنَّ ما يجب عمله واحد من اثنين: **إمَّا ترك الكل من أجل المسيح، واتّباعه تحت الصليب، لربح المسيح عوض الكل، والإرتفاع بالإتضاع، والغنى بالفقر**، وإمَّا **أن نُقاسم المسيح ما عندنا فيتقدس بمشاركته، ونعطي جزءًا منه من ليس عندهم شيء**. ولكنني إذا كنت أزرع لنفسي وحدي، فليأكل غيري ما زرعت، «فَعِوَضَ الْحِنْطَةِ لِيَنْبُتْ شَوْكٌ، وَبَدَلَ الشَّعِيرِ زَوَانٌ». (أي ٣١: ٤٠) كما قال **أيوب**.

جودة الله تحثنا على ممارسة المحبة

وعلى هذا، **فلنطرح عنا بذخ الدنيا، ونضمن ما يقدمه لنا الغنى من تحقيق خلاصنا بالصدقات**. لنعطِ الفقراء جزءًا من أموالنا، فنغتني بملكوت السماوات! ابذل شيئًا من مالك، لخير نفسك، لا لمتعة جسدك فقط. أعطِ جزءًا لله، لا للناس وحدهم، حَرِّم بطنك شيئًا وخُصَّ به روحك. **أنقذ من النار حاجة، وأمِّن عليها من نار الجحيم المحرقة**، أعطِ هذه الحياة جزءًا ولا تنسَ الحياة التي تستقبلك. أعطِ قليلًا من أعطاك كثيرًا، أعطِ الكل من أعطاك الكل، فلن تفوق الله سخاء ولو تخليت له عن كل مالك، وعن ذاتك.

كلما أعطيته زادك، ولن تعطيه شيئًا ليس له. وكما أنه يستحيل أن يسبق أحد ظلّه أو ترتفع قامته فوق رأسه، هكذا يستحيل أن نغلب الله في العطاء، لأننا لا نعطيه شيئًا ليس له، فلا يمكننا أن نفوقه أو أن نساويه كرمًا.

فكّر: من أين لك أنَّك كائن، وأنك تتنفس وأنك تُفكّر؟ ومن أين لك، فوق كل ذلك، أن تعرف الله، وأن تترجى ملكوت السماوات وأن تساوي الملائكة شرفًا، وتتأمّل مجد الله الآن في مرآة وألغاز، ومن بعد، وجهًا لوجه، وأن ترث مع المسيح، وتصبح أنت نفسك إلهًا. وإذا تكلمنا بصراحة وجسارة، فَمِنْ أين ؟ وَمِمَّن يأتيك هذا جميعه ؟ وإن تكلمنا عن النِعَم، قليلها وكثيرها، فمن يَسَّرَ لك أن ترى جمال السماء، ومسير الشمس، ومسرى القمر، وعدد النجوم، وما بينها من الإنسجام والنظام، إنسجام القيثار، وتعاقب الفصول، والدهور، ودوران السنين، وإختلاف الليل والنهار، وإثمار الأرض، وميعة الهواء، وسعة البحر هائجًا وهادئًا، وعمق الأنهار، وتحرك الرياح؟ من أعطاك المطر؟ وزرع الأرض، والغذاء، والفنون، والشرائع، والقوانين، والتمدن، وإمكان الكثيرين من أعضاء أسرة واحدة أن يعيشوا معًا؟ كيف يمكن أن يكون بعض

الحيوانات الداجنة – لخدمتك وبعضها لغذائك؟ من أقامك سَيِّدًا وملكًا على كل ما على الأرض؟ أليس هو الذي يطلب منك الآن، قبل كل شيء، أن تكون كريمًا رحيمًا. أفَلَا نخجل بعد كل ما قَبِلْنَا، ومع كل ما نَرجو أن نقبل من الله، ألَّا نُبادله هذه الرحمة؟ لقد ميَّزنا من الحيوانات العُجم، وأعطانا وحدنا العقل على الأرض، أَفَنُمْسِي لأمثالنا حيوانات عجماء؟ **أأفسدنا البذخ إلى هذا الحد** ؟ وَجَنَّنا، فصيَّرنا ما أدري ماذا، حتى لنتصور أننا من طبيعة أسمى من طبيعتنا ؟

فلنتشبه بمسلك الله، الشريف، السامي: فإنه يُمطر على الأبرار والفجّار، ويُشرق الشَّمس على الجميع؛ بَسط الأرض فَسِيحَةً لكلِّ من دَبَّ عليها، بغاباتها، وينابيعها، ومجاري مياهها. ومنح الطيور الهواء، والسَّمك الماء، وأفاض على الجميع فيضانًا مما هو جوهري لقيام الحياة. لم يحاصّهم فيه، ولا قيَّده بسلطان، ولا ضرب عليه نطاقًا؛ بل جعله تحت يدهم مشاعًا، مُحترِمًا بذلك كرامة الطبيعة في كلّ مخلوق، ومُبديًا لنا غنى جوده.

أما البشر فبخلاف ذلك، يخفون الذهب والفضة، والملابس الناعمة غير اللازمة، والحجارة الثمينة، وسائر الأشياء من شارات الحرب والخصام، والظلم القديم؛ ثم يصوِّبون إلى إخوانهم في جنوبهم نبال لِحَاظهم، (يَجْتَنِبُهُ خَوْفاً مِنْهُ: يَحْتَرِزُ مِنْهُ) **ويقفلون باب الرحمة في وجوه البائسين من أمثالهم ولا يرضون أن يبذلوا من فائض مالهم ما يسد عِوز المحتاجين.**

ظهر البؤس في العالم بعد الخطيئة

يا للجهالة ! يا لحماقة هؤلاء الناس ! أَلَا يخطر ببالهم أنَّ الفقر والغنى، والحرية والعبودية، وكل ما يدل عليه مثل هذه المسميات قد دخل في العالم **مدخل أمراض عامة، تبعًا للخطيئة، ونتيجة لها،** وقد قال الرَّب: « لم يكن ذلك في البدء» لا، والذي خلق الإنسان من الأصل تركه حرًّا، سيِّد نفسه، ليس عليه إلَّا أن يُطيع ما وُضِع عليه من وصيَّة. وهو في سِعَة من العيش، في فردوس نعيم. وأراد الله أن يمنح الجنس البشري جميعه هذه الحالة السعيدة بواسطة الإنسان الأول. وكانت الحرية والغنى متوقفين على حفظ الوصية، لا غير. **على حين أن الفقر الحقيقي والعبودية قد نتجا من مخالفة الوصية.**

ومن هنا **جاء الحسد، والشقاق،** ومن هنا **جور الحية الماكر** الذي يغري الأقوياء بالضعفاء. فانقسم الجنس البشري أحزابًا وأمات الحرص ما في الطبيعة من العواطف النبيلة. أما أنتَ فانظر على الأقل إلى المساواة الأولى، لا إلى الإنقسام؛ واحترم نفسك، وحافظ على جنسك من العار، آسِ المرض، خفف الفقر، **وأنتما أيها القوي والغني ساعدا المريض والفقير،** وأنت أيها الواقف أَسْعِف الواقع والمكسور، وأنتَ أيها المتفائل أَسْنِد المتشائم، وأنت أيها الناجح شجِّع الفاشل، أَظْهِر لله شكرك على أنك بين القادرين على صنع الخير، لا بين المعوزين المحتاجين، وليس عليك أن ترفع بصرك إلى أيدي الآخرين بل الآخرون ينظرون إليك. كن غنيًّا لا **بالتباهي بل بالرحمة، لا بالذهب بل بالفضيلة** – بالفضيلة فقط؛ كُنْ أشرف من جارك بأن تُظهر أكرم منه نفسًا، كُن إلهًا للفقير في تشبهك برحمة الله ! فما من شيء يقتبسه الإنسان من الله مثل الرحمة

... ساعد المساكين، قدِّم لهم طعامًا، أعطهم ملابس، ضمِّد جراحهم، فتش عن مصائبهم، حرِّضهم على الصبر، لا تَخَفْ واقترب منهم.

التضامن الإنساني يدعو إلى ممارسة المحبة

كل نوتيٍّ عرضة للغرق، وخصوصًا إذا كان جسورًا، وكل إنسان ذي جسد هو أيضًا عرضة للأمراض الطبيعية، وخصوصًا إذا سار متطاولًا، لا ينظر إلى المطروحين أمامه على الأرض. **فمُد يدك إلى من يغرق، مادامت الريح مؤاتية لك، وأحسن إلى البائس مادمت موسرًا، ناجحًا.** لا تنتظر أن تختبر بنفسك ما في القسوة على المساكين من الشَّر، وما في العطف عليهم من الخير. لا تحمل الله أن يمدّ يده عليك كما يمدّها على من يترفعون على الفقراء أو يتغافلون عنهم، تعلَّم من شقاء غيرك، **تعلم أن تعطي المحتاج قليلًا.** فلا قليل عند من لا يملك شيئًا، ولا عند الله، إذا كان العطاء على قدر المستطاع. وإن لم يكن لديك ما تعطي، فأعطِ من نشاطك، أعطِ من دموعك: فذلك أعظم تفريج لغم المعذَّب، أن يجد قلبًا يعطف عليه، ويخفف شيئًا من شقائه.

فيا إنسان، **أَلَا تكترث لإنسان مثلك أكثر من اكتراثك لدابة من الدواب؛** فلو أن هذه الدابة وقعت في حفرة أو شردت، لكلّفتك الشريعة أن تخرجها أو أن تردّها. أما يجب علينا من الرفق لأشباهنا وأمثالنا مثل ما تطلبه الشريعة من الرفق بالبهائم ؟

ومن المبكيات أن يكون بيننا أقوام أبعد من أن يترفقوا بالمساكين أو يساعدوهم. يتجاسرون أن يقولوا: «إن بؤسهم من الله ونعمتنا من الله». فمن أنا حتى أُعارض أحكام الله، وأظهر أني أكرم منه ؟ «فليتألموا، فليشقوا، فليبتلوا، فتلك هي إرادة الله». هؤلاء الناس لا يحبون الله إلَّا حين يلزم أن يحتفظوا بمالهم، ويحتقروا البائسين، فَيبيِّنون بكلامهم أن نجاحهم ليس من الله: وأي إنسان يعتقد أنَّ الله قد أعطاه ما أعطاه، ويستطيع أن يعتقد في الفقراء مثل هذا الإعتقاد ؟ لأنَّ من نال شيئًا من الله يستخدمه كما يريد الله.

أمَّا أن يكون العذاب قصاصًا من الله فهذا أمرٌ لا يمكننا أن نبتَّ فيه برأي، مادُمنا وأحوال العالم المادية تتقاذفنا كما تتقاذف الأمواج السفينة. فمن يدري: أيُبتَلى هذا الإنسان من أجل رذائله، أم يسعد ذاك من أجل فضائله؟ أفلا يكون العكس فيرتفع هذا بسبب شروره، ويُمتحن الآخر بسبب فضيلته؟ أوَ لم يرتفع هذا إلى مرتبة عالية ليسقط منها سقوطًا مُريعًا، يُمد له بالأجل فيفرح حينًا حتى تمتلئ كأس شَرّه، فينزل به القصاص العادل؛ وسيمتحن ذاك كالذهب في البوتقة حتى يَتطهّر من كل خبث ؟ **إذ لا أحد من البشر خال من كل عيب.**

إني أحاذر كل الحذر أن أجزم بأنَّ الإخفاق هو قصاص الرذيلة، وأن النجاح جزاء الفضيلة. فقد يحدث أحيانًا أن تكون المصائب شفاء لرذائل الأشرار، والفضيلة داعيًا لسعادة الأبرار. غير أن ذلك ليس حُكمًا مُطردًا في هذه الحياة، بل هو محفوظ للحياة الآتية، حيث ينال البعض **جزاء الفضيلة والآخرون عقاب الرذيلة.** كما يقول الكتاب: « يقوم هؤلاء للحياة، والآخرون للدينونة ».

أهمية واجب المحبة

احترموا فوق كل شيء وصية المحبة ... فما هذه الوصية؟ انظروا بأي إلحاح وبأي إخلاص أعطانا الله هذه الوصية. إنَّ كُتَّاب الوحي لم يكلّمونا مرة أو مرتين عن المساكين بلسان الرُّوح القُدُس، ولم يكلّمنا عنها بعضهم فقط دون سواهم، أو تكلم بعضهم أكثر وآخرون أقل كأن الأمر ليس من الأهمية بمكان. بل كلّهم تكلموا. وكل منهم قد تكلم بحماسة، هي أول ما توجهوا به إلى مستمعيهم، تارة بالتشجيع وطورًا بالتهديد، ومرة بالتوبيخ أو بالمديح لمن يمارسونها؛ وكان مرادهم من ترديد هذا الكلام دوام المحافظة على هذه الوصية. **يقول الرَّب**: « إني بسبب بؤس المساكين وأنين الفقراء أريد الآن أن أقوم » ومن لا يرهب الرّب إذا قام ؟

ويقول: «قم يارب، يا إلهي ولترتفع يدك ! لا تنس المساكين». فلنصرف عنا غضب من يقوم مثل هذا القيام، لا ننتظر حتى نراه يرفع يده على العصاة أو يرشق سهامه على المتصلبين: إنه « لم ينس صراخ المساكين»؛ «لن ينسى المسكين إلى الأبد»؛ «عينا الرّب على المسكين»، ويقول أيضًا: «جفناه يفحصان البشر».

رُبَّ قائل يقول: «هذا كلام يختص بالدفاع عن الفقراء متى كانوا مظلومين» . لا أجادل في ذلك، **ولكن ينبغي أن يكون هذا دافعًا لك إلى السخاء**. لأنَّ من يعنى بالفقراء متى كانوا مظلومين، يحفظ لمن يحسن إليهم أعظم مكافأة.

وإذا كان من يحتقر المسكين يُغْضِب من خَلَقَهُ، فمن يهتم بالخليقة يُكرم خالقها. ومتى سمعت: «أن الفقير والغني تلاقيا وأن الله خالق كليهما» فلا تتصور أنَّ الله **خلق أحدهما غنيًّا والآخر فقيرًا**، فتتعاظم على الفقير. كلَّا. لا دليل على أن هذا الإختلاف أتٍ من قِبَل الله. **فالكتاب المقدس** يقول: كلاهما خليقة الله. وإن اختلفت حالهما الخارجية – فعسى هذه الحقيقة تلين قلبك وتدفعك إلى حُب إخوتك، حتى إذا خطر ببالك أحد المشْهَدَيْن فاستكبرت، تذكرت المشهد الثاني فتواضعت واعتدلت.

ويقول الكتاب أيضًا: « من يرحم الفقير يقرض الله » فمن لا يَرضى بمثل هذا المدين الذي يدفع الدين في وقته مع أرباحه ؟ ويقول : « الصدقة والإيمان يطهِّران الخطايا ». **فلنتطهَّر بممارسة المحبة**. ولنتخذها دواء ننظف به نفوسنا من الأوساخ والأدناس، فتصبح بيضاء كالثلج. وأريد أن أُسمعكم كلامًا آخر أَفْعَل في النفس: إذا لم يكن فيك كُسْرٌ، ولا جُرْحٌ ولا «قَرْحٌ ملتهب» ولا **برص** في النفس ولا **قوبة**، فاحترم مَن جُرِحَ وسُحِقَ لأجلنا، بعطفك على من هو عضو من أعضاء المسيح، وإذا حدث أن قابلك **اللص ظالم النفوس**، **وأنت نازل من أورشليم إلى أريحا**، أو فاجأك في موضع آخر، وأنت أعزل بلا سلاح، فغطَّاك بالجراح وَبُتَّ في حال لا تبحث فيها عن علاج، ولا تجد سبيلًا إلى الشفاء. فإذا لم تيأس من الشفاء فأمض إلى المسيح فهو قادر أن يشفيك، وتوسَّل إليه **واشف جراحك بجراحه**، فهو يقول: «أنا خلاصك» ، «إيمانك خلصك» ، «ها قد شُفيت». وتسمع منه كلمات ملؤها عذوبة، على أن يراك عطوفًا على المساكين:

«طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون»، «طوبى لمن يشفق على الفقير»، «طيِّب هو الإنسان الذي يرحم ويقرض»، «البار يرحم كل يوم ويقرض» ؛ فلنستحق أن نُدعى رحماء مُشفقين. **لا تقل للفقير: عُد غدًا، فأعطيك. لا تجعل مسافة بين قرار العطاء وتنفيذه. المحبة** وحدها لا تقبل التسويف. «اكسر خبزك للجائع، وأنزل المساكين واللاجئين في بيتك». وافعل ذلك بطيبة خاطر، لأن الكتاب يقول: «من يمارس المحبة فليمارسها بفرح» . فملاطفتك تضاعف إحسانك، لأن ما يتم كرهًا وغصبًا سمجٌ ثقيل، ولتكن في عرس لا في مأتم، «فيشرق منذ الصباح نورك، ويطلع شفاؤك سريعًا». وأي إنسان لا يحب أن يكون في النُّور والشفاء؟

إني أتأمل، بخشوع، في كيس الدراهم الذي كان المسيح يتصدق منه، وأُقدِّر ما تم بين **بطرس وبولس** من الإتفاق على تقسيم عمل بشارة الإنجيل، **وتعميم العناية بالمساكين**. وأحترم تحديد الكمال الذي عرضه **الرَّب** على الشاب الغني بأن يوزِّع ماله على الفقراء. أتظن أنك مُخيَّر بين أن تمارس المحبة أو لا تمارسها؟ أتظن أنها مشورة لا وصية؟ كنت أتمنى أن تكون كذلك، ولكن أمرًا يمنعني هو **الخوف من أن أقف في الدينونة الأخيرة بين أهل الشمال، من جانب الجداء، وأن يطردني من أوقفني في ذلك الجانب**. فإن هؤلاء لم يُحكم عليهم بهذا الموقف لأنهم سرقوا، أو نهبوا، أو زنوا، أو أتوا أي فعل آخر من المنكرات، ولكن لأنهم **لم يخدموا المسيح بأشخاص المساكين**.

فإذا صدقتموني يا عباد الله، يا إخوة المسيح، وشركاءه في الميراث الأبدي، فهلموا بنا نزور المسيح، ونعتني بالمسيح، ونُطعم المسيح، ونَكسو المسيح، ونُؤوي المسيح، ونُكرم المسيح، لا بأن نجلسه إلى مائدتنا فحسب، ولا بأن نَصُبَ عليه طيبًا، **كمريم المجدلية**، ولا أن نُقدِّم له قبرًا **كيوسف الرامي**، أو نُحضر له ما يلزم لدفنه مثل **نيقوديموس** الذي لم يحب المسيح إلى نصف محبة، ولا أن نُقدِّم له الذهب والبخور والمرّ كما فعل **المجوس** قبل جميع من ذكرت. ولكن بما أنَّ **سيّد هذا العالم** «يريد رحمة لا ذبيحة»، وبما أن الطيبة أفضل من ذبيحة ألف خروف فلنقدمها لهذا السيّد بواسطة الفقراء والمساكين المطروحين على الأرض، حتى إذا انتقلنا من هذه الأرض « يقبلوننا في المظال الأبدية » **بالمسيح** نفسه ربنا الذي له المجد إلى دهر الدهور آمين.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الفصل السادس

وقد صَمَّمَ في أعماق نفسه أن يكتب رسالة لصفرونيوس، لكنه مازال يشعر بالتردّد. ولهذا فقد كان يخشى رفع نظره إلى أيقونة المخلّص. وهكذا راح يلقي نظرات غائمة وراء الدموع باتّجاه أيقونة الكليّة القداسة والدة الإله من وقت لآخر. هذه الأم المليئة بالحنان التي تغضّ الطَرف عن زلّات أولادها الكثيرين في العالم.

وأخيرًا قال:

– «سأكتب، فأنا لم أَعُد أستطيع الإحتمال. سأكتب له **يا سيّدتي** بعض الكلمات ... وأرجوكِ أن تتشفّعي من أجلي لدى ابنك ليغفر لي هذا».

هكذا أمضَى الليلة كلها تقريبًا. وعند طلوع الفجر أخذ ريشة وورقة وكتب إلى صفرونيوس:

«... أَلهذه الدرجة أصبحتُ سيئًا في عينيك يا صاحب السيادة؟ لقد مضَى على نفيي الظالم من مصرَ أربع سنوات، كنتُ خلالها أُفتّش بائسًا عن خُبزي اليومي لأتقاسمه مع الفقراء. كنتَ أصَمّ وأبكم تُجاه جميع اتهامات رجال بطريركيتك. فكيف يمكن أن يُعطي موظفوك مثل هذه المعلومات عنّي ردًا على طلب رسمي من الحكومة اليونانيّة؟ ومتى لاحظت يا صاحب السيادة نيّتي بعدم الطَّاعة؟ وماذا بَدَرَ عنّي في هذا الخصوص؟ وما هي الإثباتات حتَّى أُتَّهَم بأنّي عاقّ ومتمرّد وخادم الشّرير وعدوّ السلطة الإكليريكيّة؟ وأي محكمة اكليريكيّة حَكَمَت عليّ وأدانتني، وبرهنت عن سوء أخلاقي، حتى يُعطي موظفو البطريركية هذه المعلومات الوفيرة للمعتمد السياسي للحكومة اليونانيّة، في جوابهم بأنّي قد نفيت لعدم طاعتي وسوء أخلاقي، عندما طُلِبَت منهم المعلومات بطريقة رسميّة؟ أين هي الوثائق؟ والمتهمون؟ والشهود؟ ما هي أداة الجريمة؟ وما هو أساس هذا الإتهام الرسمي الذي حُكِمَ عليَّ بالموت المعنويّ؟ ما هي الإساءة الكُبرى التي ارتكبتها بحقّك يا صاحب السيادة أو بحق أحد من البطريركيّة حتَّى يُحكَم عليَّ بالموت؟ وما هو سبب غضبك هذا تجاهي، رغم البُعد، في محاولة لتدميري بالكامل؟ وما هي الخطيئة الفظيعة التي ارتكبتها بحقّك؟ وأي سوأ وأي خداع؟

يشهد الله أني ولا مرّة حاولت إيذاء أحد وأني لم أبحث طوال حياتي إلَّا عن الخير حتى أصبحتُ خادمَهُ وعاشقًا له. وقد حصلت قداستك على الإثباتات القاطعة على نواياي الطيبة.

ولكن ما فائدة كلّ هذا؟ فقد انتهى كُل شيء: لقد استراح غضبك وعوقِبَ الشرير بطريقة مثالية. فلماذا إذن هذا الإتهام بعد سنوات؟ أريد أن أُعلِم قداستكم أن غضبها تجاهي غير عادل. وليكن الربّ شاهدي وقاضيّ.

وتقبلوا فائق الإحترام وكُل التمنيات بالسعادة.»

وفيما هو يوقّع الرسالة عادَ يتساءل من جديد إن كان عليه أن يبعثها. ولكنه وضعها أخيرًا في مغلّف خاص وأعطاها للبواب لكي يُرسلها مع البريد. وعندما حلَّ المساء وفي ساعة متأخرة بعد صلاة الغروب، خرج إلى الحديقة وإذ تنشّق النفسج بدأ يحسّ بالارتياح.

«فلنشترك إذن، بكل ثقة، في جسد المسيح ودمه. إنَّ جسده يُعطَى لك تحت شكل الخبز، ودمه يعطى لك تحت شكل الخمر، وإذ أنت تشترك في جسد المسيح ودمه، تصبح جسدًا واحدًا ودمًا واحدًا مع المسيح. وهكذا نصبح نحن «حاملي المسيح»، بما أنَّ جسده ودمه ينتشران في أعضائنا، وبهذه الكيفية نصبح – على حدِّ تعبير الطوباوي بطرس – «شركاء الطبيعة الإلهية».

القديس كيرلس الأورشليمي

القرن الرابع – عظة 22

«لقد كرّستُ زمنًا طويلًا للأباطيل وأضعت كل شبابي تقريبًا في الجهد غير المُجدي الذي بذلته لتمثّل علوم حكمة قد جهّلها الله. وعندما أفقت ذات يوم كما من نوم عميق وأدركت عدم فائدة حكمة عظماء هذا الدهر الذين يبطلون، بكيت طويلًا على حياتي الشقية، وصليّتُ ملتمسًا توجيهًا ما»

القديس باسيليوس الكبير

الرسالة 223

«وكما أن الأدوية والجراحة والمعالجة بالكَيّ هُمْ للطبيب، كذلك التأديب هو لله. وكما تُستعمل النَّار كثيرًا للمعالجة بالكَيّ لمنع انتشار العدوى، وكما تزيل أداة صلبة اللحم المتعفن – مسببة ألمًا لكن مقدمة نفعًا – كذلك الجوع والمرض والتجارب الظاهرة الأخرى تستخدم على الروح بدلًا من النار والأداة الصلبة، لمنع انتشار المرض وَلِكَيْ تجعل الرُّوح أفضل».

القديس يوحنا ذهبي الفم

(عظة 5 على مثل الغني ولعازر)

الأرثوذكسيّة (٩٤)
قانون إيمان لكل العصور

وحياة الدهر الآتي

ذَهَبَ شخصٌ يَدَّعِي لنفسه أنَّه «**مُلحدٌ مستنير**» في زيارة إلى دَيْر، وفي نهاية الزيارة قال باعتداد للراهب المُرشِد: «آه، هل فكَّرت يا صديقي أنَّه إذا كان الله غَيْر موجود، وأنا أظن أن هذا هو الحال، فأنتَ تكون قد أضَعتَ حياتكَ هباءً!».

أجابَه الرَّاهب باعتداد أَعظَم: «إن كُنتُ على خطأ، أكونُ قد أضعتُ خمسين أو سبعين سنة فقط، أمَّا إن كنتَ أنتَ على خطأ فتكون قد أَضَعتَ أبَديَّتك كلّها».

إنَّ **قانون الإيمان الرُّومي النيقاوي** الذي نقوله يُختَم برَنَّة الانتصار والرجاء اليقيني. «وأَترَجَّى قيامة الموتى. والحياة في الدهر الآتي، آمين». إن كُنَّا نؤمن بكل ما ما يقوله قانون الإيمان بخصوص الله المُعلَن في يسوع: «وبربٍّ واحدٍ يسوعَ المسيح. ابن الله الوحيد ... الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزَلَ من السماء ... وتألَّم وقُبر. وقامَ في اليوم الثالث على ما في الكتب، وَصَعِدَ الى السماء ... وأيضًا يأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه...» فلابدّ أن نأتي إلى الخاتمة المُنتصرة: «**وأَترَجَّى قيامة الموتى. والحياة في الدهر الآتي، آمين**». هذه هي بلوغ الذروة المُحَتَّمة لِنَص الإيمان المصوغ في **القانون الرُّومي النيقاوي**.

فطيرة حَلْوَى في السَّماء

يعترض المُلحدون على عقيدة **الحياة بعد الموت** ويقولون إنَّها فكرة يَرغبها الناس تُعَبِّر عن شوارع من الذهب البَرَّاق، ومنازل في السَّماء يُوعَد بها الإنسان كتعويضٍ للفقر الذي يُعانيه كثيرون على الأرض. ومن هنا تُصبح عقيدة المسيحيِّين بخصوص قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي ليست إلَّا: «فطيرة حَلْوَى في السَّماء». لكن هذا غير صحيح. إنَّ قانون الإيمان يَتضَمَّن مَشهَد الدينونة التي يجريها الله الكلّي القدرة، وهذه في واقعها ليست: «**فطيرة حَلْوَى في السَّماء**»، كما لا يمكن الاعتقاد أنَّها أفكارٌ آملة، فالمسيحي المُؤمن لا يمكنه أن يُشارك المُلحد إيمانه أنّ الموت هو مجَرَّد نهاية مُريحة للحياة البشريَّة، فبحسب **قانون الإيمان المسيحي الرّومي الأرثوذكسي**، فقد: «وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ» (عبرانيين ٩: ٢٧). إنَّ عقيدة: «**حياة الدهر الآتي**» ليست مبنيّة على أفكار ورغبات حالِمة، ولكنَّها مبنيّة على **إعلان الله الحقيقي مِنْ خلال يسوع المسيح والكنيسة**.

البرهان من خلال قضيَّة العدالة

تَوَصَّلَ بعض الناس إلى حقيقة عقيدة: «**حياة الدهر الآتي**» من خلال قضيَّة العدالة. إنَّهم يشعرون أنَّه لابُدّ من وجود حياة أُخرى لتصحيح مسار عدم العدالة السائد في هذا العالم. طُلِبَ من شخص ذاتَ مرَّة أن يُعطي سَبَبًا لاعتقاده بحياة الدهر الآتي فأجاب: «أعتقد أنَّه لابُدَّ من وجود حياةٌ أُخرى لأنَّ الناس – ببساطة – لا ينالون جزاء ضلالهم المُحِق في هذه الحياة». لو لم تَكُن هناك حياة أُخرى، فإنَّ ذلك سوف يُشَكِّل أحبارًا سارَّة للأشرار! ولكان الذين ارتكبوا شرورًا عظيمة في العالَم يموتون في سلامٍ عظيم على فراشهم، بينما الرسول بولس الذي عاش ليخدم المسيح يموت في أَلَم الاستشهاد. إن لم تَكُن هناك حياة أُخرى، لكان من الأفضل أن يكون الإنسان مُجرمًا لا أن يكون قِدِّيسًا مثل بولس الرسول. إنَّ العدالة تستلزم وجود حياة أُخرى لِتُعَوِّض عَدَم الاتزان الخُلُقي في هذا العالم.

البرهان من خلال محبَّتنا للمُنتقلين

توصَّل آخرون إلى عقيدة «**حياة الدهر الآتي**» ليس فقط عن طريق قضيَّة العدالة، إنَّما أيضًا على أُسس محبّة الله. عندما يَصرخ الحُبّ بجوار قبر المحبوب، فهذا يكون أعظم تحديف نحو الله، أو أن يكون أعظَم برهان على حياة أُخرى. إن كان الله مَحَبَّة فليسَ من العدل أن يَضَع فينا هذا الحُبّ المُلتَهِب من نحو أحبائنا المُنتقلين. هل يكون مُوافقًا الله الكُلِّيّ المحبَّة والعدل أن يَضَع محبَّة شديدة في قلوبنا نحو أحبائنا المنتقلين إن كان موتهم يعني أنّهم تلاشوا ولم يَبقَ لهم وجود بعد؟ ولكن إن استَمَرَّ الحبّ في وجوده حتى بعد الموت، فهذا يَفتَرِض أنَّ المُنتَقِل لا زال يحيا، ووإلَّا ما كان الله يجعلنا أن نُحبّ بهذه القوَّة.

آخرون يشعرون أنَّ أكثر شيء مأساوي في الحياة ليس هو الموت عندما يأتي في سنٍّ متأخِر، ولكن عندما يُداهم الشَّاب في مقتبل حياته قبل أن يتفَتَّح للحياة أو ينمو. إن لم تَكُن توجد حياة أُخرى تبلُغ فيه هذه النفس اكتمالها وَتَجِد فيها شِبَعها، فَإِنَّه يُصبح من المُستحيل أن نؤمن بمحبَّة الله أو عدالته.

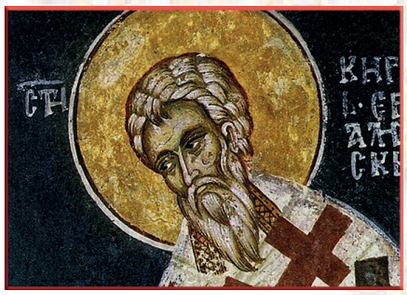

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

«... وبكنيسة واحدة مقدّسة جامعة ؛ وبقيامة الجسد والحياة الأبدية»

العظة الثامنةَ عشرةَ

٤) العدل والقيامة:

إعتبر أيضًا مبدأ العدل وفكّر فيه مليًا في نفسك. لنفرض أنَّ عندك خدمًا كثيرين، بعضهم صالحون والبعض الآخر أشرارًا. أنتَ تُقدّر الصالحين وتَضرب الأشرار. وإن كنت قاضيًا، تكافئ الصالحين وتعاقب الأشرار. وهكذا يكون الحقّ عندك محفوظًا. أنت الإنسان الفاني؛ وعند الله ملك الأشياء كلها. الذي لا يخلفه أحد، لا تكون هناك مكافأة للبرّ ؟ أنه لمن الكُفر أن ننكر ذلك فكّر بهذا: هناك قتلة كثيرون ماتوا بلا عقاب على أسرّتهم، فأين هي عدالة الله؟ وكثيرًا ما يكون القاتل مسؤولًا عن خمسين جريمة قتل، ولا يُقطَع رأسه إلَّا مرّة واحدة، فأين ينال العقاب عن التسعة والأربعين جريمة الأخرى؟ إن لم تكن هناك دينونة ومجازاة بعد هذه الدنيا، فأنت قد تتهم الله **بالظلم**. ولكن لا تستغرب تأخّر هذه الدينونة، فكل مُقاتل لا يُكرَّم أو يُهان إلَّا بعد انتهاء الحرب. ولم يحدث قط أن حَكَما كلَّلَ الذين لا يزالون يتصارعون، بل هو ينتظر انتهاء المصارعة، وبعد التحكّم يوزّع الجوائز والأكاليل. هكذا يفعل الله: ما دام الصراع لا يزال قائمًا في هذا العالم، يقوم لمساندة الأبرار جزئيًا، لكنه بعد ذلك يمنحهم المكافآت كاملة.

٥) إيمانٌ ضمني بالقيامة:

إن لم تكن هناك قيامة الأموات، كما تظن، فلماذا تدين الذين ينتهكون حرمة القبور؟ إن كان الجسم يفنى بدون أمل القيامة، فلماذا يُعاقب لصّ القبور؟ هل ترى أنّك وأنت تنكر القيامة بشفتيك، لا تزال مقتنعًا بها في أعماق نفسك؟

٦) الطبيعة تلمّح الى القيامة...

ثم إن الشجرة التي تُقطَع تعود فتزدهر، والإنسان الذي يتلاشى ألَا يعود فيزدهر؟ والحبوب التي تُزرع وتُحصَد تبقى على البيدر، والإنسان الذي يحصد في هذا العالم ألَا يظلّ على البيدر؟ وأغصان الكرمة وغيرها من الأشجار التي تُقطَع وتُغرَس في موضع آخر، تعود فتحيا وتأتي بثمار؛ والإنسان الذي لأجله تُوجد هذه الأشجار، اذا سقط على الأرض، ألَا يعود فيقوم من جديد؟ وإذا نحن قارنّا بين المصاعب، فأي شيء أصعب، أن نصنع تمثالًا لم يكن موجودًا، أو أن نعيد صياغته في القالب نفسه بعد تحطيمه؟ فالله الذي خلقنا من العَدَم، هل يعجز عن قيامتنا نحن الموجودين الساقطين؟ ولكنك لا تؤمن بالأشياء التي كتبت عن القيامة، لأنك يوناني. أُنظر ما يحدث في طبيعة الكائنات، وفكّر في ما لا يزال يُرى إلى اليوم. فمثلًا يزرع القمح أو أي نوع آخر من الحبوب؛ تسقط الحبة، تموت وتتلاشى، وتُصبح غير صالحة للغذاء. ولكن ما تلاشى ينبت عُشبًا ، وما سقَطَ صغيرًا ينهض أكثر جمالًا. وقد خُلق القمح لأجلنا، لأن القمح والحبوب لم تُخلق لذاتها بل لفائدتنا. فهذه الأشياء التي صُنِعَت لأجلنا تستردّ الحياة بعد موتها، ونحن الذين لأجلها صُنعت هذه الأشياء، ألَا نقوم ثانية بعد موتنا؟

٧) – ... في الحيوان وفي النبات

نحن في فصل الشتاء، كما تَرى، والأشجار تبدو الآن كأنّها ميّتة: أين أوراق التينة، أين عناقيد الكرمة؟ ولكن ما يبدو ميتًا في الشتاء يخضّر في الربيع؛ وعندما يحين الوقت ترجع إليه الحياة كأنما هي تعاوده بعد الموت. وإذ يرى الله عدم إيمانك، جعل هذه الكائنات الحسيّة تستعيض الحياة كل سنة، حتى عند رؤيتك ما يحدث في الكائنات الجامدة تُؤمن به في الكائنات الحية العاقلة. كذلك يحدث كثيرًا أن الذبابة أو النحلة التي اختفت بالماء ترجع الى الحياة بعد ساعة. وإنَّ الضفادع التي تظلّ بلا حركة طيلة الشتاء تدبّ فيها الحياة في الصيف. (لأنّك تفكّر في أمور دنيئة تُعطي لك أمثال من ذات القيمة). فالذي يمنح الحياة بصورة تفوق الطبيعة للكائنات غير العاقلة والحقيرة، ألَا يمنحها لنا نحن الذين خُلقت هذه الكائنات لأجلهم؟